غزوة بدر الكبرى
بين المدد الرباني والقيادة النبوية
دراسة تحليلية

د. راكان عبد العزيز الراوي*

التعريف بالبحث

تُعد غزوة بدر الكبرى معلماً بارزاً في تاريخ الصراع بين خندقي الحق والباطل... خندقي المسلمين والكافرين.

جاءت غزوة بدر في توقيتها، وملابساتها لتثبت للعالم أجمع بأن الله غالب على أمره ولو كره الكافرون.

جاءت لتثبت أن الله مع العبد، طالما كان العبد مع ربه، ولتؤكد بأن العبد إذا توكل على العليم الخبير حق التوكل، مع الأخذ بجميع الأسباب الممكنة فإن النتيجة ستكون إيجابية حتماً بإذن الواحد الأحد.

لإثبات هذه المبادئ الراسخة جاءت هذه الدراسة لتوضح وتؤكد بما لا يقبل الشك، بأن النصر العظيم الذي تحقق لصالح المسلمين في غزوة بدر، لم يكن إلا نتاج التفاعل الطبيعي بين ثلاث متغيرات، هي: (المدد الربّاني العظيم، والقيادة النبوية الحكيمة للرسول الكريم ﷺ، والعلاقة الروحيّة السامية بين الرسول القائد ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم).

* منسق كلية الإدارة والقيادة في جامعة آل لوتاه العالمية، ولد في بغداد عام (١٩٧٣م)، وحصل على درجة البكالوريوس في كلية الإدارة والاقتصاد في جامعة بغداد عام (١٩٩٤م)، وعلى الماجستير كذلك عام (١٩٩٧م) وكانت رسالته بعنوان: «واقع إدارة العلاقات العامة في الوزارات العراقية: دراسة تحليلية مقارنة»، وحصل على الدكتوراه كذلك عام (٢٠٠٠م) وكانت رسالته بعنوان: «سمات عمداء الكليات في العراق وعلاقتها بإدارة الوقت: دراسة تحليلية مقارنة».

المقدمة

جاء هذا البحث من أجل مناقشة وتحليل أسباب ومبررات النصر العظيم الذي حققه المسلمون – في غزوة بدر[١] المباركة – وهم قلة (ثلاثمائة وبضعة عشر مقاتل)[٢]، على المشركين وهم كثرة (بين التسعمائة والألف مقاتل)[٣]. تلك الغزوة التي وافق وقوعها يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان المبارك من السنة الثانية من الهجرة[٤]. (للتعرف إلى الموقع الجغرافي لمدينة بدر ... ينظر: الملحق رقم / ١).

إن هذا البحث لم يكن ليتناول جميع الأحداث التي وقعت في غزوة بدر، ولا جميع المواقف التي مرَّ بها الرسول ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم أثناء الغزوة، فذلك أمر قد أوفته كتب السيرة النبوية حقه بشكل رائع ومجزٍ[٥].

حدد الباحث أسباب النصر بثلاثة جوانب رئيسة هي: (المدد الربّاني العظيم، والقيادة النبوية الحكيمة للرسول الكريم ﷺ، والعلاقة الروحيّة السامية بين الرسول القائد ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم). وعلى أساس هذه الجوانب تم تصنيف مباحث الدراسة كما يأتي:

* **المبحث الأول**: مواقف ودلالات المدد الربّاني (القدرة الإلهية).

* **المبحث الثاني**: مواقف ودلالات القيادة النبوية الحكيمة للرسول الكريم ﷺ (الأخذ بالأسباب).

* **المبحث الثالث**: مواقف ودلالات العلاقة الروحيّة الساميّة بين الرسول القائد ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

---

(١) بدر: هي قرية مشهورة نسبت إلى بدر بن مخلد بن النضر بن كنانة كان نزلها، ويقال: بدر بن الحارث، ويقال: بدر اسم البئر التي بها، سميت بذلك لاستدارتها أو لصفاء مائها فكان البدر يُرى فيها، وحكى الواقدي إنكار ذلك كله عن غير واحد من شيوخ بني غِفار، قالوا: هي ماوانا ومنازلنا وما ملكها أحد قط يُقال له بدر، وإنما هو علم عليها كغيرها من البلاد. يُنظر: فتح الباري (٧ / ٢٨٥).

(٢) دلائل النبوة، البيهقي، (٣ / ٣٦، ٣٧، ١٢٦، ١٢٧)

(٣) المصدر السابق، (٣ / ٤٢، ٤٣، ١٠٩، ١٢٧)، عيون الأثر، ابن سيد الناس، (١ / ٢٤٩).

(٤) دلائل النبوة، (٣ / ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨)

(٥) للتوسع في غزوة بدر راجع على سبيل المثال: الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، ص: ٢٠٤-٢٣٣ . في ظلال السيرة النبوية: غزوة بدر الكبرى، محمد عبد القادر أبو فارس. السيرة النبوية، عابد توفيق الهاشمي، ص: ٧٢-٨٢ . قيادة الرسول ﷺ السياسية والعسكرية، أحمد راتب عرموش، ص: ٣٩-٥٤ . بدر الكبرى: المدينة والغزوة، محمد عبدة يماني. غزوة بدر من الناحيتين العسكرية والسياسية، جمال حمّاد.

* **المبحث الرابع**: الدروس والعبر المستفادة من غزوة بدر الكبرى. مع الأخذ بعين الاعتبار أننا اقتصرنا في تبيان الدروس على ما يتوافق مع عنوان البحث وأهدافه، مقرين بوجود الكثير من العبر التي لم يشر إليها الباحث لأنها تشمل غزوة بدر المباركة بشكل عام، أي أنها تقع خارج نطاق أهداف البحث.

والتزاماً بمبادئ البحث العلمي، وتطبيقاً لمقتضياته، سوف نقوم ومن خلال الصفحات اللاحقة بتقديم عرضٍ لأهمية البحث، ومشكلته، وأهدافه، ومنهجه، انتهاءً بعرض الدراسات السابقة.

أهمية البحث:

تتمثل أهمية البحث في كونه يتناول أسباب النصر لأعظم غزوة في تاريخ الإسلام، تلك الغزوة التي أرست معلماً ضخماً في طريق التاريخ البشري عموماً، والتاريخ الإسلامي خصوصاً. الغزوة التي سمّى الله – سبحانه – يومها: ﴿**يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ**﴾(١). كما أنه – عز وجل – جعلها مفرق الطريق بين الناس في الآخرة كذلك لا في هذه الأرض وحدها، ولا في التاريخ البشري على هذه الأرض في الحياة الدنيا وحدها.

قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿**هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ * إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ * وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ**﴾(٢).

ورد أن هذه الآيات نزلت في الفريقين اللذين التقيا يوم بدر .. يوم الفرقان .. لتخليد ذكرها على مرّ الزمن. وتكفي هذه الشهادة من الجليل – سبحانه – لتصوير ذلك اليوم وتقديره(٣) .. وسنعرف شيئاً – إن شاء الله – عن قيمة هذا اليوم، حين نستعرض الوقعة وملابساتها ونتائجها.

---

(١) سورة الأنفال / من الآية ٤١ .

(٢) سورة الحج / الآيات ١٩–٢٤ .

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، (٣/ ١٤٣١).

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة هذا البحث المعنون "غزوة بدر الكبرى بين المدد الربّاني والقيادة النبوية.. دراسة تحليلية" في تفعيل العلاقة بين العناصر الرئيسة الثلاثة التي أدت إلى انتصار جيش المسلمين على جيش الكافرين في هذه الغزوة المباركة:

العنصر الأول: التدبير الربّاني، والقدرة الإلهية العظيمة التي تجلت في قول الباري عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(١).

العنصر الثاني: القيادة النبوية الحكيمة للرسول الكريم ﷺ، وقدرته المتميزة في إحكام السيطرة على مجريات الأمور قبل الحرب، وخلالها، وبعد تحقق النصر المبين من عند المولى عز وجل. آخذاً ﷺ بكلّ الأسباب المادية المتعلقة بالتخطيط للمعركة، وتنظيم الجيش، ودراسة طبيعة الأرض، وشحذ همم المقاتلين، وعدم ترك أية جزئية مهما كانت بسيطة أو صغيرة إلا ومعالجتها كما ينبغي.

العنصر الثالث: العلاقة الروحية السامية التي ربطت بين الرسول القائد ﷺ من جهة، وجنود الإسلام من جهةٍ أخرى. الأمر الذي كان له دور بالغ الأهمية في وقوف المهاجرين والأنصار صفاً واحداً متماسكاً خلف قيادة النبي ﷺ.

بناءً على ما أوضحته العناصر الثلاثة أعلاه يمكن القول بأن مشكلة البحث تتمحور حول أربعة أسئلة رئيسة هي:

السؤال الأول: ما مواقف ودلالات المدد الربّاني في غزوة بدر؟

السؤال الثاني: ما مواقف ودلالات القيادة النبوية الحكيمة للرسول الكريم ﷺ في غزوة بدر؟

السؤال الثالث: ما مواقف ودلالات العلاقة الروحية السامية بين الرسول القائد ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم في غزوة بدر؟

السؤال الرابع: ما الدروس والعبر المستفادة من غزوة بدر الكبرى؟

أهداف البحث:

تتجسد أهداف البحث في إثبات أن نصر المسلمين على أعداء الله الكافرين في غزوة بدر الكبرى، لم يتحقق إلا من خلال ثلاثة أسباب مجتمعة متفاعلة مع بعضها:

---

(١) سورة آل عمران / الآية ١٢٣.

السبب الأول: القدرة الإلهية العظيمة:

وتتجسد فيما ورد في القرآن الكريم في المواضع الستة التي تم تناولها والتعرض إليها بالتفسير والتحليل على صفحات المبحث الأول من هذا البحث والمعنون "مواقف ودلالات المدد الربّاني – القدرة الإلهية"(١).

السبب الثاني: التزام القيادة النبوية بمبدأ الأخذ بالأسباب المادية:

وذلك امتثالاً لأمر العليم الخبير: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ** ﴾(٢).

النص هنا يأمر بإعداد القوة على اختلاف صنوفها وألوانها وأسبابها، ويخص «رباط الخيل» لأنه الأداة التي كانت بارزة آنذاك. وفي الحديث الشريف: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة: الأجر والمغنم»(٣).

لذلك يجب على المسلمين في جميع الأزمان والأمصار أن يهيئوا جميع أسباب القوة التي في حوزتهم، وذلك ضمن الحدود القصوى لطاقتهم بحيث لا تقعد العصبة المسلمة عن سبب من أسباب القوة يدخل في حدود إمكاناتها وطاقاتها. وبذلك يمكن القول بأن الإسلام ليس نظاماً لاهوتياً يتحقق بمجرد استقراره عقيدةً في القلوب، وتنظيماً للشعائر، ثم تنتهي مهمته ... كلا ... إن الإسلام منهج عملي واقعي للحياة. يواجه مناهج أخرى تقوم عليها سلطات وتقف وراءها قوى مادية مختلفة، فلا مفر للإسلام – لإقرار منهجه الربّاني– من الوقوف بوجه تلك القوى المادية، ومقاومة السلطات التي تنفذ تلك المناهج الأخرى المنافية للمنهج الربّاني.

ومن الجدير ذكره في هذا المقام أن مصطلح الأخذ بالأسباب ينضوي تحت مظلته كل ما من شأنه الإسهام في تحقق النصر على الأعداء من تخطيط وتنظيم وتوجيه وتنسيق وتدريب وتمويل وتسليح ورقابة.

---

(١) ينظر: سورة آل عمران / الآيات ١٢٢–١٢٦، سورة الأنفال / الآيات ٩–١٢، سورة الأنفال / الآيتان ١٧–١٨، سورة الأنفال / الآيات ٤٢–٤٤، سورة الأنفال / الآيتان ٥٠–٥١، سورة الأنفال / الآيات ٦٤–٦٦.

(٢) سورة الأنفال / الآية ٦٠.

(٣) أخرجه مسلم. ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي، حديث رقم ١٨٧٣، (٧/٢٢).

السبب الثالث: العلاقة الروحية السامية بين الرسول القائد ﷺ، والجنود المسلمين[١]:

وتتجلى في مواقف كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم، حين استشارهم الرسول ﷺ في أمر ملاقاة المشركين في ساحة المعركة . . . .

منهج البحث:

اعتمد الباحث في بحثه على المنهج الوصفي التحليلي وذلك من خلال وصف الوضع القائم لدى كل من المسلمين والمشركين قبل وأثناء وبعد غزوة بدر الكبرى بالاعتماد على الوصف القرآني، والسنّة النبوية الشريفة.

لقد تم وصف وتحليل الظروف والأبعاد والعلاقات التي تفاعلت مع بعضها في غزوة بدر، وذلك من خلال ثلاثة سبل رئيسة هي (المدد الربّاني، والقيادة النبوية الحكيمة للرسول ﷺ، والعلاقة الروحية السامية بين الرسول القائد ﷺ والجنود المسلمين) وذلك بهدف الانتهاء إلى رسم صورة متكاملة عملية ودقيقة لتحديد أسباب نصر جيش المسلمين على جيش المشركين.

إن سبب الاعتماد على الأسلوب الوصفي التحليلي يكمن في جودته ومساعدته في الوصول إلى استنتاجات وتعميمات تساعد في تطوير الواقع الحالي للمسلمين، وهذا ما عمد إليه الباحث من خلال عرضه في المبحث الرابع للدروس والعبر المستفادة من غزوة بدر الكبرى.

الدراسات السابقة:

لا بد من القول أن هناك الكثير من الدراسات والبحوث التي تناولت غزوات الرسول ﷺ بشكل عام، أو غزوة بدر الكبرى بشكل خاص.

لذلك سيتم من خلال هذه الفقرة توضيح أبرز وأهم الكتابات الخاصة بغزوة بدر بغية التمكن من تحديد نقاط تميز هذه الدراسة عن غيرها من الدراسات التي سبقتها. مع الأخذ بعين الاعتبار أن الدراسات السابقة التي وقعت بين يدينا تندرج تحت مجموعتين هما:

المجموعة الأولى: الدراسات التي تناولت غزوة بدر الكبرى بشكل خاص:

١- دراسة محمد عبدة يماني: بدر الكبرى .. المدينة والغزوة، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

---

(١) في ظلال القرآن، (٣/١٤٥٦).

٢- دراسة محمد أحمد باشميل: من معارك الإسلام الفاصلة .. غزوة بدر الكبرى، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

٣- دراسة عبد الحميد جودة السحّار: محمد رسول الله والذين معه .. غزوة بدر، (د.ت).

٤- دراسة إبراهيم العيّاشي: في رحاب الجهاد المقدس .. غزوة بدر الكبرى، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٥- دراسة محمد عبد القادر أبو فارس: في ظلال السيرة النبوية .. غزوة بدر الكبرى، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٦- دراسة جمال حمّاد: غزوة بدر من الناحيتين العسكرية والسياسية، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر، (د.ت).

٧- دراسة القيادة العامة للقوات المسلحة في دولة الإمارات العربية المتحدة، غزوة بدر الكبرى (الفرقان)، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

عند تحليل الدراسات الواردة في المجموعة الأولى نجد أن مؤلفات (باشميل، والسحّار، والعيّاشي، وحمّاد، ودراسة القيادة العامة للقوات المسلحة في دولة الإمارات) قامت بعرض أحداث غزوة بدر بأسلوب تاريخي متسلسل وتفصيلي إلى حدٍ ما. أما دراسة (يماني) فقد اهتمت بتقديم صورة عن بدر المدينة، والموقع، والغزوة، والتاريخ. وبالنسبة لدراسة (أبو فارس) فقد تميزت بتناول أحداث الغزوة من خلال التركيز على ربطها ببعض القضايا المعاصرة، مع التركيز على تثبيت الدروس المستفادة من أغلب المواقف التي وقعت أثناء نشوب القتال بين المسلمين والمشركين.

المجموعة الثانية: الدراسات التي تناولت السيرة النبوية أو غزوات الرسول ﷺ بشكل عام وبضمنها غزوة بدر الكبرى:

١- دراسة المؤرخ إسماعيل بن عمر بن كثير الشافعي: الفصول في سيرة الرسول، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٢- دراسة محمد فرج: العبقرية العسكرية في غزوات الرسول، ١٣٧٧هـ-١٩٥٨م.

٣- دراسة علي محمد محمد الصلاّبي: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث .. دروس وعبر، الجزء ٢، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٤- دراسة محمود شيت خطّاب: الرسول ﷺ القائد، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٥- دراسة الشيخ صفي الرحمن المباركفوري: الرحيق المختوم .. بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، (الصفحات الخاصة بغزوة بدر ٢٠٤-٢٣٢).

٦- دراسة أحمد راتب عرموش: قيادة الرسول ﷺ السياسية والعسكرية، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٧- دراسة عابد توفيق الهاشمي: السيرة النبوية، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٨- دراسة محمد عبد السلام أبو النيل: غزوات خلّد القرآن الكريم ذكرها، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

عند تحليل الدراسات الواردة في المجموعة الثانية يمكن القول: إن بعضها تناول الغزوة بشكل مبسط ومختصر مثل دراستَي (الشافعي، والهاشمي). بينما دراسات أخرى تناولتها بشكل أكثر تفصيلاً وعمقاً كما في مؤلف (المباركفوري). أما بالنسبة لدراسة (الصلاّبي) فهي دراسة متميزة شاملة تمكن مؤلفها من التعامل بشمولية مع غزوة بدر مع تحديد الدروس والعبر المستفادة منها.

وبالنسبة إلى الدراسات التي ركزت على الجوانب العسكرية والقتالية في غزوة بدر مثل دراسة (خطّاب، وعرموش، وفرج) فإن الباحث يود أن يشير إلى تميز دراسة (خطّاب) في تناولها للغزوة على الرغم من قلة عدد الصفحات التي غطت الموضوع.

أما دراسة (أبو النيل) فقد تناولت مجمل غزوات الرسول ﷺ وبضمنها غزوة بدر، وكان تناولها شيّقاً، شاملاً إلى حدٍ كبير في تغطية تفاصيل هذه الغزوة المباركة.

بعد الانتهاء من تحليل الدراسات السابقة لا بد من كلمة حق بشأنها، فجميعها دراسات قيّمة على مستوى عالٍ من الرصانة العلمية، ولولا وجودها لما تمكن الباحث من إخراج دراسته إلى النور. ولكن يبقى الكمال لله وحده عز وجل.

لقد وجد الباحث أن الدراسات السابقة اهتمت كثيراً بعرض وقائع وأحداث وتفصيلات غزوة بدر مع تدعيم التحليل بالآيات القرآنية التي نزلت بحق الغزوة، وبالأحاديث النبوية الشريفة. والشكر والعرفان لهم على جهودهم الكبيرة والمضنية سائلين المولى عز وجل أن يجعل كتاباتهم في ميزان حسناتهم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

ولكن على الرغم من تلك الجهود الكبيرة فإن الباحث لم يتمكن من إيجاد تصنيف دقيق وموضوعي لأحداث ووقائع غزوة بدر يحدد مسميات واضحة لأسباب نصر المسلمين على المشركين.

إضافةً إلى ضعف تحديد وتعيين الدروس المستفادة من غزوة بدر باستثناء دراستي (الصلاّبي، وأبو فارس) المنّوه عنهما سابقاً.

تأسيساً على ما سبق يمكن القول بأن هذه الدراسة المعنونة «غزوة بدر الكبرى بين المدد الربّاني والقيادة النبوية .. دراسة تحليلية» تتميز عن الدراسات السابقة في ثلاث قضايا رئيسة هي:

القضية الأولى: عرض أحداث ووقائع غزوة بدر مصنفة إلى عناوين رئيسة:

١- الأحداث ذات العلاقة بالمدد الربّاني.

٢- الأحداث ذات العلاقة بالقيادة النبوية الحكيمة للرسول ﷺ.

٣- الأحداث المرتبطة بالعلاقة الروحية السامية بين الرسول ﷺ والجنود المسلمين.

القضية الثانية: التحديد الدقيق لأسباب نصر المسلمين على المشركين، متمثلةً بالتفاعل البنّاء بين القدرة الإلهية العظيمة من جهة، والقيادة النبوية الآخذة بالأسباب من جهة ثانية، والعلاقة الروحية السامية والمتميزة بين الرسول القائد ﷺ والجنود المسلمين من جهة ثالثة.

القضية الثالثة: التحديد الدقيق والمفصّل للدروس والعبر المستفادة من غزوة بدر المباركة، مما يجعل من انتصارات الماضي المجيد نبراساً يضيء دروب أجيال المسلمين نحو غدٍ مشرق يرضي الله عز وجل ورسوله الكريم ﷺ.

* * *

المبحث الأول

مواقف ودلالات المدد الربّاني

(القدرة الإلهية)

تمهيد:

نناقش في هذا المبحث، ما يتعلق بمواقف ودلالات المدد الربّاني في غزوة بدر المباركة، وكيف أن الله عز وجل أيّد جيش المسلمين، وأمّدهم بملائكته الكرام، وهيأ لهم جميع أسباب النصر العزيز. الأمر الذي ما كان ليتم لولا صدق التوكل على الله، الذي وقر في قلوب المسلمين وفي مقدمتهم النبي الكريم ﷺ، مع الثقة التامّة به تعالى، واليقين المطلق بالنصر العظيم من لدنه عز وجل.

لقد كان تعامل الرسول ﷺ مع القرآن الكريم تعاملاً حيوياً، بحيث كان ﷺ ومن ورائه جميع المسلمين المجاهدين بأموالهم وأنفسهم يقرأون كلام المولى عز وجل، ويتفاعلون معه، بالشكل الذي جعل سلوكياتهم وتصرفاتهم انعكاساً لما جاء في كتاب الله العزيز.

نتيجةً لهذا التفاعل المتميز، نجد أن النبي ﷺ، ومعه المسلمين المقاتلين في غزوة بدر، قرأوا ما جاء في القرآن الكريم من آيات تحثهم وتوجههم على وجوب التوكل على الله في جميع الأعمال ... صغيرها وكبيرها، وعلموا أن المحرّك الأوحد لجميع ما يحدث في هذا الكون هو الواحد الأحد.

هذا الإيمان العميق، والإحساس الراقي بكلام العليم الخبير، أمدهم بقوة روحية رفيعة جداً، وكان سبباً في الوقت نفسه بنزول المدد الربّاني يقاتل معهم وفي صفهم. فمن كانت ثقته بالله، وقلبه مع الله فإن الله تعالى لا يضيّعه أبداً.

يتضح مما سبق أن قضية "التوكل على اللطيف الخبير" في سائر أمور الدين والدنيا، تعد أمراً ربانياً لا يمكن الحياد عنه، فضلاً على أنه شرط للإيمان والإسلام ... مصداقاً لقوله عز وجل: ﴿**وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ**﴾(١). وقال أيضاً: ﴿**وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾(٢). وقوله ﴿**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً**﴾(٣).

---

(١) سورة يونس / الآية ٨٤ .

(٢) سورة المائدة / من الآية ٢٣ .

(٣) سورة النساء / من الآية ١٢٢ .

فيما يتعلق بغزوة بدر المباركة، نلاحظ تعدد وتنوع مواقف ودلالات المددُ الربّاني، إلا أنه بالإمكان تعيين هذه المواقف في ستة مواضع محددة وردت في القرآن الكريم، وكما يأتي:

الموضع الأول: قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاثَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُنزَلِينَ * بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**﴾(١).

إن النصر في بدر كانت له رائحة المعجزة الربانية، إذ تم بمؤازرة مدد السماء لجيش المسلمين. فلم تكن الكفتان بين المؤمنين والمشركين متوازنتين ولا قريبتين من التوازن. كان المشركون حوالي ألف، خرجوا نفيراً لاستغاثة أبي سفيان، لحماية القافلة التي كانت معه، مزودين بالعدة والعتاد، والحرص على الأموال، والحميّة للكرامة. وكان المسلمون حوالي ثلاثمائة، لم يخرجوا لقتال هذه الطائفة ذات الشوكة، إنما خرجوا لرحلة هيّنة. لمقابلة القافلة العزلاء وأخذ الطريق عليها، فلم يكن معهم – على قلة عددهم – إلا القليل من العدّة. وكان وراءهم في المدينة مشركون لا تزال لهم قوتهم، ومنافقون لهم مكانتهم، ويهود يتربصون بهم، وكانوا هم بعد ذلك كله قلّة مسلمة في وسط خضم من الكفر والشرك في الجزيرة. ولم تكن قد زالت عنهم بعد صفة أنهم مهاجرون مطاردون من مكة، وأنصار آووا هؤلاء المهاجرين ولكنهم ما يزالون نبتة غير مستقرة في هذه البيئة(٢).

فبهذا كله يذكرهم الله عز وجل، ويرد ذلك النصر إلى سببه الأول في وسط هذه الظروف العصيبة.

لا بد من القول إذاً إن الله هو الذي نصر المسلمين، ونصرهم لحكمة نص عليها في مجموعة هذه الآيات. وهم لا ناصر لهم من أنفسهم ولا من سواهم. فإذا اتقوا وخافوا فليتقوا ويخافوا الله، الذي يملك النصر والهزيمة، والذي يملك القوة والسلطان وحده. فلعل التقوى أن تقودهم إلى الشكر، وأن تجعله شكراً وافياً لائقاً بنعم الله عليهم على كل حال.

---

(١) سورة آل عمران / الآيات ١٢٣-١٢٦ ... للتوسع في تفسير هذه الآيات راجع: في ظلال القرآن، (١/ ٤٦٩-٤٧١)، مختصر تفسير القرطبي، اختصره وخرّج أحاديثه الشيخ عرفان حسّونة، (١/ ٣٩٩-٤٠٢)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (١/ ٤٨٩-٤٩٢).

(٢) في ظلال القرآن، (١/ ٤٦٩).

هذه هي اللمسة الأولى في تذكيرهم بالنصر في بدر .. ثم يستحضر بعد ذلك مشهدها ويستحيي صورتها في حسّهم إذ يقول عز وجل: ﴿ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاثَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُنزَلِينَ * بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾[٢]. إذ كانت هذه كلمات رسول الله ﷺ يوم بدر للقلة المسلمة التي خرجت معه والتي رأت نفير المشركين، وهي خرجت لتلقى طائفة العير، لا لتلقى طائفة النفير الموقرة بالسلاح. وقد أبلغهم الرسول ﷺ ما بلغه يومها من ربه، لتثبيت قلوبهم وأقدامهم، وهم بشر يحتاجون إلى العون في صورة قريبة من مشاعرهم وتصوراتهم، وأبلغهم كذلك شرط هذا المدد.. إنه الصبر والتقوى، الصبر على تلقي صدمة الهجوم، والتقوى التي تربط القلب بالله في حالتي النصر والهزيمة[٣].

فالآن يعلمهم الله أن مرد الأمر كله إليه، وأن الفاعلية كلها منه سبحانه، وأن نزول الملائكة ليس إلا بشرى لقلوبهم لتأنس بهذا وتستبشر، وتطمئن به وتثبت. أما النصر فمنه مباشرة، ومتعلق بقدره وإرادته بلا واسطة ولا سبب ولا وسيلة. وذلك مصداقاً لقوله عز وجل: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾. وهذا أسلوب حصر وقصر، أي لا يقع النصر إلا بقدره عز وجل[٤].

عرف المسلمون أن الله هو الفاعل – وحده – وعرفوا كذلك أنهم مأمورون من قبل الله باتخاذ الوسائل والأسباب، وبذل الجهد، والوفاء بالتكاليف .. فاستيقنوا الحقيقة، وأطاعوا الأمر، في توازن شعوري وحركي عجيب!

إن هذه الآيات تستحضر مشهد بدر والرسول ﷺ يَعِدَ المسلمين المحاربين بنزول الملائكة تقاتل في صفهم مدداً من عند الله، إذا هم استمسكوا بالصبر والتقوى والثبات في المعركة. ثم يخبرهم بحقيقة المصدر الفاعل – من وراء نزول الملائكة – وهو الله .. الذي تتعلق الأمور كلها بإرادته، ويتحقق النصر بإذنه .. فهو "العزيز" القوي ذو السلطان القادر على تحقيق النصر. وهو "الحكيم" الذي يجري قدره على وفق حكمته.

---

(١) فورهم هذا: أي من وجههم أو جهتهم هذه. ينظر: لسان العرب، لابن منظور، (٧/١٨٦).

(٢) مسومين: أي معلمين لهم علامة تميزهم. ينظر: لسان العرب، (٤/٧٥٨).

(٣) في ظلال القرآن، (١/٤٧٠).

(٤) في ظلال القرآن، (١/٤٧٠).

وأورد البخاري ومسلم وأحمد بن حنبل وغيرهم عدداً من الأحاديث الصحيحة التي تفصل مشاركة الملائكة في معركة بدر، وقيامهم بضرب المشركين وقتلهم(١). فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في إثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول أقدم حيزوم(٢). فنظر إلى المشرك أمامه فخرّ مستلقياً، فنظر إليه فإذا هو خطم أنفه(٣)، وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدَّث بذلك رسول الله ﷺ فقال: "صدقت ذلك مدد من السماء الثالثة"(٤)، ومن حديث ابن عباس رضي الله عنه أيضاً قال: إن النبي ﷺ قال يوم بدر: "هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب"(٥)، ومن حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: جاء رجل من الأنصار قصير بالعباس بن عبد المطلب أسيراً، فقال العباس: يا رسول الله إن هذا والله ما أسرني، لقد أسرني رجل أجلح(٦) من أحسن الناس وجهاً على فرس أبلق(٧) ما أراه في القوم، فقال الأنصاري: أنا أسرته يا رسول الله، فقال: "أسكت فقد أيدك الله بملك كريم"(٨)، ومن حديث أبي داود المازني قال: إني لأتبع رجلاً من المشركين لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي فعرفت أنه قتله غيري(٩).

ووقع عند البيهقي من طريق ابن محمد بن جبير بن مطعم أنه سمع علياً رضي الله عنه يقول: "هبّت ريح شديدة لم أرَ مثلها، ثم هبّت ريح شديدة، وأظنه ذكر ثالثة، فكانت الأولى جبريل والثانية ميكائيل والثالثة إسرافيل، وكان ميكائيل عن يمين النبي ﷺ وفيها أبو بكر، وإسرافيل عن يساره وأنا فيها"، ومن طريق أبي صالح عن علي قال: "قيل لي ولأبي بكر يوم بدر: مع أحد كما جبريل ومع الآخر ميكائيل، وإسرافيل ملك عظيم يحضر الصف ويشهد القتال"(١٠).

---

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، إعداد مجموعة من المختصين، (١/ ٢٩١).

(٢) حيزوم: اسم الفرس الذي يركبه الملك. ينظر: الجامع في السيرة النبوية، سميرة الزايد، (٢/ ٢٣٤)، أما معنى حيزوم: فهو الصدر، وقيل وسطه، وهذا الكلام كناية عن التشمر للأمر والأستعداد له، ويقال: أشدد للأمر حيازيمك أي: استعد له. ينظر: لسان العرب، (٢/ ٤٢٨).

(٣) خطم: الخطم من كل دابة: مُقدم أنفها وفمها، نحو الكلب والبعير. وخطمه يخطمه خطماً: ضرب مخطمه. وخطم فلان فلاناً بالسيف إذا ضرب حاقّ وسط أنفه. ينظر: لسان العرب، (٣/ ١٤٧).

(٤) أخرجه مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، حديث رقم ١٧٦٣، (٦/ ٣٢٧).

(٥) عيون الأثر، (١/ ٢٥٦).

(٦) الأجلح: الذي انحسر شعره عن جانبي رأسه أو جبهته. ينظر: لسان العرب، (٢/ ١٦٤).

(٧) الأبلق: فيه سواد وبياض في اللون. ومصدر الأبلق: ارتفاع التحجيل إلى الفخذين. ينظر: لسان العرب، (١/ ٤٩٩).

(٨) صحيح السيرة النبوية، إبراهيم العلي، ص: ٢٤٧.

(٩) المصدر السابق، ص: ٢٤٧.

(١٠) أخرجه أحمد وأبو يعلى وصححه الحاكم، والجمع بينه وبين الذي قبله ممكن. ينظر: فتح الباري بشرح البخاري، شرح الحديث رقم ٣٩٩٥، (٧/ ٣١٢-٣١٣).

إن إمداد الله تعالى للمؤمنين بالملائكة أمر قطعي ثابت لا شك فيه، وإن الحكمة من هذا الإمداد تحصيل ما يكون سبباً لانتصار المسلمين: من بشارتهم بالنصر، ومن تثبيتهم بما ألقوه في قلوبهم من بواعث الأمل في نصرهم، والنشاط في قتالهم، وبما أظهروه لهم من أنهم معانون من الله تعالى، وأيضاً بما قام به بعضهم من الاشتراك الفعلي في القتال، ولا شك أن هذا الاشتراك الفعلي في القتال قوّى قلوبهم وثبتهم في ساحة المعركة، وهذا ما دلّت عليه الآيات البيّنات، وصرّحت به الأحاديث النبوية(١).

الموضع الثاني: قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ * إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ**﴾(٢).

الاستغاثة هنا تعني طلب الغوث والنصر. وروى مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة، ثم مدّ يديه، فجعل يهتف بربه: "اللهم أنجز لي ما وعدتني. اللهم ائتني ما وعدتني. اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد في الأرض". فما زال يهتف بربه مادّاً يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه. فأتاه أبو بكر الصديق رضي الله عنه فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك. فأنزل الله تعالى: ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ**﴾ فأمدّه الله بالملائكة(٣). وفي الحديث الذي رواه البخاري: جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم ؟ قال: "من أفضل المسلمين" – أو كلمة نحوها – قال: وكذلك من شهد بدراً من الملائكة(٤).

---

(١) ينظر: المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، عبد الكريم زيدان، (٢/١٣١-١٣٢).

(٢) سورة الأنفال / الآيات ٩-١٢ ... للتوسع في تفسير هذه الآيات راجع: في ظلال القرآن، (٣/١٤٨٢-١٤٨٦)؛ مختصر تفسير القرطبي، (٢/٢٦٦-٢٧٠)؛ مختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني، (٢/٨٨-٩٢).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، حديث رقم ١٧٦٣، (٦/٣٢٧-٣٢٨). وذكر الألف من الملائكة في هذه الآية لا ينافي الثلاثة آلاف الوارد ذكرهم في سورة آل عمران – الآية ١٢٤، لقوله سبحانه "مردفين" والتي تعني يردفهم بغيرهم ويتبعهم ألوف أخر مثلهم.

(٤) اخرجه البخاري، فتح الباري بشرح البخاري، الحديث رقم ٣٩٥٢، (٧/٣١١-٣١٢).

وفي رواية ابن عباس قال: قال النبي ﷺ يوم بدر: "اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد" فأخذ أبو بكر رضي الله عنه بيده، فقال: حسبك، فخرج ﷺ وهو يقول: « **سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ** »(١). وروى ابن إسحاق: أنه ﷺ قال: "اللهم هذه قريش قد أتت بخيلائها وفخرها تجادل وتكذّب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني"(٢).

وفي دلائل نزول الملائكة تقاتل مع جيش المسلمين - فضلاً عما ذكر في الفقرة السابقة- روى البيهقي بسنده عن موسى بن محمد بن إبراهيم عن أبيه قال: كان السائب ابن أبي حُبيش يُحدث في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يقول: والله ما أسرني أحد من الناس، فيقال: فمن ؟ فيقول: لمّا انهزمت قريش، انهزمت معها، فيدركني رجل أبيض طويل على فرس أبيض بين السماء والأرض فأوثقني رباطاً، وجاء عبد الرحمن بن عوف فوجدني مربوطاً، وكان عبد الرحمن ينادي في المعسكر: من أسر هذا ؟ فليس يزعم أحد أنه أسرني، حتى انتهى بي إلى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: "يا ابن حُبيش من أسرك" ؟ فقلت: لا أعرفه، وكرهت أن أخبره بالذي رأيت، فقال رسول الله ﷺ: "أسرك ملك من الملائكة، اذهب يا ابن عوف بأسيرك"، فذهب بي عبد الرحمن بن عوف، فقال السائب: ما زالت تلك الكلمة أحفظها، وتأخر إسلامي حتى كان من أمري ما كان(٣).

ومن واجب القول أن نزول الملائكة عليهم السلام كان لأجل تبشير المسلمين المقاتلين وإشعارهم بشكل مادي وعملي أن مدد السماء معهم وفي صفهم .. قال تعالى: ﴿**وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ**﴾. وإلا فهو تعالى قادر على نصركم على أعدائكم، أي من دون نزول الملائكة .. ولهذا قال: ﴿**وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ**﴾، كما قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ**﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿**وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ**﴾(٥).. فهذه حكم شرّع الله جهاد الكفار بأيدي المؤمنين لأجلها، لأن قتل المؤمنين للكافرين أشد إهانة للكافرين، وأشفى لصدور المؤمنين قياساً بالعقوبات الربانية التي كان الله ينزلها على الأقوام الكافرة مثل قوم نوح، وعاد، وثمود، ولوط وغيرهم. وفي هذا الشأن قال تعالى: ﴿**قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ**

(١) ينظر: فتح الباري بشرح البخاري، الحديث رقم ٣٩٥٣، (٧/ ٢٨٧).
(٢) ينظر: فتح الباري بشرح البخاري، الحديث رقم ٣٩٥٢، (٧/ ٢٨٩).
(٣) دلائل النبوة، (٣/ ٦٠).
(٤) سورة محمد / من الآية ٤.
(٥) سورة آل عمران / من الآية ١٤٠.

﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾(١)، ولهذا كان قتل صناديد قريش بأيدي أعدائهم، أنكى لهم وأشفى لصدور حزب الإيمان، وقتل ابي جهل في ساحة المعركة أشد إهانة له من موته على فراشه بقارعة أو صاعقة أو نحو ذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ أي له العزة ولرسوله وللمؤمنين بهما في الدنيا والآخرة، و"حَكِيم" فيما شرعه من قتال الكفار مع القدرة على دمارهم وإهلاكهم. بحوله وقوته سبحانه وتعالى.

أما قصة النعاس الذي غشي المسلمين قبل المعركة فهي قصة حالة نفسية عجيبة، لا تكون إلا بأمر الله وقدره وتدبيره .. لقد فزع المسلمون وهم يرون أنفسهم قلة في مواجهة خطر لم يحسبوا حسابه ولم يتخذوا له عدته، فإذ النعاس يغشاهم، ثم يصحون منه والسكينة تغمر نفوسهم، والطمأنينة تفيض على قلوبهم(٢).

لقد كانت هذه الغشية، وهذه الطمأنينة، مدداً من أمداد الله للعصبة المسلمة يوم بدر. قال تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾.. ولفظ "يغشيكم"، ولفظ "النعاس"، ولفظ "أمنةً".. كلها تشترك في إلقاء ظل لطيف شفاف، وترسم الظل العام للمشهد، وتصور حال المؤمنين يومذاك، وتجلي قيمة اللحظة النفسية الفاصلة بين حال المسلمين قبل النعاس وبعده(٣).

قال القرطبي: وكان هذا النعاس في الليلة التي كان القتال من غدها فكان النوم عجيباً مع ما كان بين أيديهم من الأمر المهم.

وعن الإمام علي رضي الله عنه قال: ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد على فرس أبلق، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم، سوى رسول الله ﷺ تحت شجرة يصلي حتى أصبح.

وفي امتنان الله عليهم بالنوم في هذه الليلة وجهان(٤):

١- أنه قوّاهم بالاستراحة على القتال من الغد.

٢- أنه أمنهم بزوال الرعب من قلوبهم كما يقال: الأمن منيم، والخوف مسهر.

---

(١) سورة التوبة / الآية ١٤.

(٢) في ظلال القرآن، (٣/ ١٤٨٤).

(٣) في ظلال القرآن، (٣/ ١٤٨٤).

(٤) تفسير القرطبي، (٧/ ٣٢٧).

وأما قصة الماء فهي قصة مدد آخر من أمداد الله للعصبة المسلمة قبيل المعركة. إذ بيّن – سبحانه – أنه أكرم المؤمنين بإنزال المطر عليهم في وقت لم يكن المعتاد فيه نزول الأمطار وذلك فضلاً منه وكرماً، وإسناد هذا الإنزال إلى الله للتنبيه على أنه أكرمهم به.

قال الإمام الرازي: وقد عُلم بالعادة أن المؤمن يكاد يستقذر نفسه إذا كان جنباً، ويغتم إذا لم يتمكن من الاغتسال، ويضطرب قلبه لأجل هذا السبب. وبذلك يُعد تمكين المؤمنين من الطهارة من جملة نعم الله عز وجل(١).

روى ابن جرير عن ابن عباس قال: نزل النبي ﷺ، يعني حين سار إلى بدر والمسلمون بينهم وبين الماء رملة دِعْصَةٌ(٢)، فأصاب المسلمين ضعف شديد، وألقى الشيطان في قلوبهم الغيظ يوسوسهم .. تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله وقد غلبكم المشركون على الماء، وأنتم تصلون مجنبين، فأمطر الله عليهم مطراً شديداً، فشرب المسلمون وتطهروا، فأذهب الله عنهم رجز الشيطان، وثبت الرمل حين أصابه المطر، ومشى الناس عليه والدواب فساروا إلى القوم(٣).

لقد بيّن – سبحانه – أنه أنزل على عباده المؤمنين المطر قبل المعركة فتطهروا به حسيّاً ومعنوياً إذ ربط الله به على قلوبهم وثبت به أقدامهم، وذلك أن الناظر في منطقة بدر يجد في المنطقة رمالاً متحركة لا زالت حتى اليوم ومن العسير المشي عليها، ولها غبار كثيف، فلما نزلت الأمطار تماسكت تلك الرمال وسهل السير عليها وانطفأ غبارها وكل ذلك كان نعمة من الله على عباده(٤).

والمدد على هذا النحو مدد مزدوج: مادي وروحي. فالماء في الصحراء مادة الحياة، فضلاً على أن يكون أداة النصر. والجيش الذي يفقد الماء في الصحراء يفقد أعصابه قبل أن يواجه المعركة. ثم هذه الحالة النفسية التي صاحبت الموقف ووسوس بها الشيطان .. حالة التحرج من أداة الصلاة على غير طهر لعدم وجود الماء (ولم يكن قد رُخص لهم بعد في التيمم، فقد جاء هذا متأخراً في غزوة بني المصطلق في السنة الخامسة). وهنا تثور الهواجس والوساوس، ويدخل الشيطان من باب الإيمان ليزيد حرج النفوس ووجل القلوب. والنفوس التي تدخل المعركة في مثل هذا الحرج وفي مثل هذا القلق تدخلها مزعزعة مهزومة من داخلها .. وهنا يجيء المدد وتجيء النجدة من المولى عز وجل ليتم المدد الروحي

(١) تفسير الرازي، (١٥/١٣٣).
(٢) دِعْصَةٌ: طائفة من الرمل مجتمعة. ينظر: لسان العرب، (٣/٣٦١).
(٣) دلائل النبوة، (٣/٧٨).
(٤) حديث القرآن عن غزوات الرسول ﷺ، محمد بكر آل عابد، (١/٩١).

بالمدد المادي، وتسكن القلوب بوجود الماء، وتطمئن الأرواح بالطهارة، وتثبت الأقدام بثبات الأرض وتماسك الرمال(١).

ومن الجدير بالذكر إن الله – سبحانه – أنزل المطر باعتدال على جانب المسلمين من ساحة المعركة، بينما كان كثيراً وغزيراً على جانب جيش المشركين، فأوحلت الأرض تحت أقدامهم، مما تسبب في جعل الحركة بطيئة وصعبة وغير ميسرة(٢).

وبعد أن أنزل الله – سبحانه – المطر على المؤمنين، فاطمأنت به القلوب، واستقرت الأرواح، وتطهرت الأبدان. يأتي إيحاء الباري عز وجل لملائكته عليهم السلام أنه معهم. ويأمرهم بضرب المشركين لما فيه مؤازرة وتثبيت الرسول الكريم ﷺ، ومن معه من المؤمنين. ويأتي الوعد الرباني أيضاً بإلقاء الرعب والخوف في قلوب الكافرين.

إنه الأمر الهائل حقاً.. المتمثل بمعية الله سبحانه للملائكة في المعركة، واشتراك الملائكة فيها مع العصبة المسلمة.. يقول الله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾. والمعنى بأني معكم، أي بالنصر والمعونة، وهذه نعمة خفية أظهرها الله تعالى لهم ليشكروه عليها، وهو أنه تعالى وتقدس أوحى إلى الملائكة الذين أنزلهم لنصر نبيه ودينه أن يثبتوا الذين آمنوا. قال ابن جرير: أي ثبتوا المؤمنين وقووا أنفسهم على أعدائهم، سألقي الرعب والذلة والصغار على مَنْ خالف أمري وكذب رسولي(٣).

روى البيهقي بسنده عن ابن عباس قال: كان المَلَك يتصوَّر في صورة من يعرفون من الناس يثبتونهم فيقول: إني قد دنوت منهم فسمعتهم يقولون: لو حملوا علينا ما ثبتنا، ليسوا بشيء، فذلك قول الله عز وجل: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلى آخر الآية(٤).

وفي إثبات قيام الملائكة بإيقاع الرعب في قلوب المشركين.. روى البيهقي أيضاً عن نوفل بن معاوية الدِّيليّ قال: انهزمنا يوم بدر ونحن نسمع كوَقع الحَصا في الطساس في أيدينا ومن خلفنا، وكان ذلك من أشد الرعب علينا(٥).

---

(١) في ظلال القرآن، (٣/١٤٨٥).
(٢) غزوة بدر الكبرى، ص: ٥٤–٥٥.
(٣) مختصر تفسير ابن كثير، (٢/٩١).
(٤) دلائل النبوة، (٣/٦٠).
(٥) دلائل النبوة، (٣/٨٠).

وأمر الله تعالى الملائكة بالضرب فوق الأعناق وضرب كل بنان .. قال تعالى: ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾.. أي اضربوا الهام فافلقوها، واحتزوا الرقاب فقطعوها، وقطعوا الأطراف منهم وهي أيديهم وأرجلهم(١).

الموضع الثالث: قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾(٢).

في قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ أي يوم بدر. إذ روي أن أصحاب رسول الله ﷺ لما صدروا عن بدر ذكر كل واحد منهم ما فعل: قتلت كذا، فعلت كذا. فجاء من ذلك تفاخر ونحو ذلك. فنزلت الآية إعلاماً بأن الله تعالى هو المميت والمقدّر لجميع الأشياء، وأن العبد إنما يشارك بتكسبه وقصده. وهذه الآية ترد على من يقول بأن أفعال العباد خلق لهم. فقيل: المعنى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم بسوقهم إليكم حتى أمكنكم منهم. وقيل: ولكن الله قتلهم بالملائكة الذين أمدكم بهم(٣).

وفي قوله عز وجل: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾... قيل: إن هذا الرمي إنما كان في حصب رسول الله ﷺ يوم حنين. وقيل: إنها كانت يوم بدر، وهو أصح لأن السورة بدرية. قال ابن عباس: رفع رسول الله ﷺ يديه يعني يوم بدر فقال: "يا رب إن تهلك هذه العصابة فلن تُعبد في الأرض أبداً" فقال له جبريل عليه السلام: خذ قبضة من التراب فارم بها وجوههم، فأخذ قبضة من التراب فرمى بها في وجوههم، فما من المشركين أحد إلا أصاب عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة فولوا مدبرين(٤). قال ثعلب: المعنى "وَمَا رَمَيْتَ" أي الفزع والرعب في قلوبهم، "إِذْ رَمَيْتَ" بالحصباء فانهزموا، "وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ" أي أعانك وأظفرك. والعرب تقول: رمى الله لك، أي أعانك وأظفرك وصنع لك(٥). وقال محمد بن يزيد: وما رميت بقوّتك إذ رميت، ولكنك بقوّة الله رميت(٦). وقال محمد بن قيس ومحمد بن كعب القرظي: لما دنا القوم بعضهم من بعض أخذ

(١) مختصر تفسير ابن كثير، (٢/٩١).
(٢) سورة الأنفال / الآيتان ١٧-١٨ ... للتوسع في تفسير هاتين الآيتين راجع: في ظلال القرآن، (٣/١٤٩٠-١٤٩١)، مختصر تفسير القرطبي، (٢/٢٧٢-٢٧٣)، مختصر تفسير ابن كثير، (٢/٩٣-٩٤).
(٣) مختصر تفسير القرطبي، (٢/٢٧٢).
(٤) مختصر تفسير ابن كثير، (٢/٩٣).
(٥) مختصر تفسير القرطبي، (٢/٢٧٢).
(٦) المصدر السابق، (٢/٢٧٢).

رسول الله ﷺ قبضة من تراب فرمى بها في وجوه القوم وقال: "شاهت الوجوه"، فدخلت في أعينهم كلهم، وأقبل أصحاب رسول الله ﷺ يقتلونهم ويأسرونهم وكانت هزيمتهم في رمية رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾(١).

وفي قوله تعالى: ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا﴾ أي ليرزقهم من عنده أن يبلوا البلاء الحسن الذي ينالون عليه الأجر، بعد أن يكتب لهم به النصر. فهو الفضل المضاعف أولاً وأخيراً(٢). قال عروة بن الزبير في إظهار معنى قول الله: أي ليعرف المؤمنين نعمته عليهم، من إظهارهم على عدوهم مع كثرة عدوهم وقلة عددهم، ليعرفوا بذلك حقه ويشكروا بذلك نعمته(٣). وفي قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾... المعنى إن الله يسمع استغاثتكم، ويجعلكم ستاراً لقدرته، متى علم منكم الخلوص له، ويعطيكم النصر والأجر كما أعطاكم هذا وذاك في بدر(٤).

﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾... وهذه أخرى بعد تلك الأولى. إذ أن التدبير الرباني لا ينتهي عند أن يقتل لكم أعداءكم بأيديكم، ويصيبهم برمية رسولكم، ويمنحكم حُسن البلاء ليأجركم عليه.. إنما هو يضيف إليه توهين كيد الكافرين، وإضعاف تدبيرهم وتقديرهم، فلا مجال إذن للخوف، ولا مجال إذن للهزيمة، ولا مجال إذن لأن يولي المؤمنون الأدبار عند لقاء الكفار(٥).

الموضع الرابع: قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾(٦).

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير، (٢/٩٣-٩٤).
(٢) في ظلال القرآن، (٣/١٤٩٠).
(٣) مختصر تفسير ابن كثير، (٢/٤٩).
(٤) في ظلال القرآن، (٣/١٤٩٠).
(٥) المصدر السابق، (٣/١٤٩٠-١٤٩١).
(٦) سورة الأنفال / الآيات ٤٢-٤٤... للتوسع في تفسير هذه الآيات راجع: في ظلال القرآن، (٣/١٥٢٤-١٥٢٧)، مختصر تفسير القرطبي، (٢/٢٨٣-٢٨٤)، مختصر تفسير ابن كثير، (٢/١٠٨-١١٠).

تستحضر الآيات القرآنية مشاهد ومواقف المعركة بأسلوب عجيب يكشف عن تدبير الله عز وجل في إدارتها. حتى ليكاد الإنسان يرى عظمة الخالق من وراء الأحداث والحركات، كما تتضح غاية التدبير التي تحققت كما أرداها الله تعالى.

إن المعركة شاخصة بمواقع الفريقين فيها، وشاهدة بالتدبير الربّاني الخفي من ورائها، ويد الله تكاد تُرى، وهي توقف هؤلاء هنا، وهؤلاء هناك، والقافلة من بعيد. والكلمات تكاد تشف عن تدبير الله في رؤيا الرسول ﷺ وفي تقليل كل فريق في عين الفريق الآخر، وفي إغراء كل منهما بالآخر.. وما يملك إلا الأسلوب القرآني الفريد عرض المشاهد وما وراء المشاهد بهذه الحيوية، وبهذه الحركة المرئية، وفي مثل هذه المساحة الصغيرة من التعبير(١)!

هذه الآيات الكريمات توضح الأماكن في غزوة بدر، وصوّر لنا سبحانه وتعالى الحالة التي كان عليها الجيشان يوم اللقاء، فقد كان المسلمون بجانب الوادي وحافته الأقرب إلى المدينة، وكانت أرضه رخوة تغوص فيها الأقدام، ولم يكن هناك ماء، وكان الكفار بالجانب الأخر من الوادي الأبعد عن المدينة وكانت أرضه ثابتة، وفيها ماء، وكان ركب العير الذي يقوده أبو سفيان "أسفل منكم" بالقرب من ساحل البحر(٢).

فقد ذكّر المولى عز وجل المؤمنين بنعمته عليهم فقال: ﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾، أي اذكروا أيها المؤمنون وقت أن خرجتم من المدينة فسرتم حتى كنتم "بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا"، أي بجانب الوادي وحافته الأقرب إلى المدينة المنورة. "وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى"، أي الكفار بالجانب الأبعد الأقصى الذي هو بعيد بالنسبة للمدينة. "وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ"، أي أن عير أبي سفيان ومن فيها كانت أسفل منكم من ناحية ساحل البحر الأحمر على بعد ثلاثة أميال منكم. ولم يكن كل من الجيشين يعلم بموقع صاحبه وإنما جمعهما الله هكذا على جانبي الربوة لأمر يريده سبحانه(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ بيان لتدبير الله الحكيم، وإرادته النافذة، أي ولو تواعدتم أنتم وهم على التلاقي للقتال هناك لاختلفتم في الميعاد، لكراهتكم للحرب على قلتكم وعدم إعدادكم شيئاً من العدة لها، وانحصار همكم في أخذ العير، ولأن غرض الأكثرية من المشركين كان إنقاذ العير دون القتال أيضاً، لأنهم كانوا يهابون قتال رسول الله ﷺ ولا يأمنون نصر الله له، لأن كفر

(١) في ظلال القرآن، (٣/١٥٢٤).
(٢) حديث القرآن عن غزوات الرسول ﷺ، (١/٧١).
(٣) في ظلال القرآن، (٣/١٥٢٤-١٥٢٥).

أكثرهم به كان عناداً أو استكباراً لا اعتقاداً .... ﴿وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً﴾، أي ولكن تلاقيتم هنالك على غير موعد ولا رغبة في القتال ليقضي الله أمراً كان ثابتاً في علمه وحكمته أنه واقع لا بد منه وهو القتال المفضي إلى خزيهم ونصركم عليهم وإظهار دينه وصدق وعده لرسوله الكريم(١).

أما هذا الأمر المقتضى الذي دبّر الله الظروف لتحقيقه فهو الذي يقول عنه: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾، والهلاك يعبر به عن مدلوله المباشر، كما يعبر به عن الكفر. وكذلك الحياة فإنها قد تفيد مدلولها المباشر وقد يعبر بها عن الإيمان، وهذا المدلول الثاني أرجح، لأن يوم بدر – كما قال الله سبحانه – كان ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾(٢) وقد فرق الله فيه بين الحق والباطل(٣). ومن ثم فإن من يكفر بعدها فإنما يكفر في غير شبهة –يكفر عن بينة فيهلك عن بينة – ومن يؤمن بعدها فإنما يؤمن عن بينة واضحة تبرزها المعركة. وفي السياق ذاته يقول الآلوسي: أي ليموت من يموت عن حجة عاينها، ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها، فلا يبقى محل لتعليل بالأعداد، فإن وقعة بدر من الآيات الواضحة والحجج الغر المحجلة(٤).

إن الموقعة – بظروفها التي صاحبتها – تحمل بينة لا تجحد، وتدل دلالة لا تنكر على تدبير وراء تدبير البشر، وعلى قوى وراءها غير قوة البشر. إنها تثبت أن لهذا الدين رباً يتولى أصحابه متى أخلصوا له وجاهدوا في سبيله وصبروا وثبتوا، وأنه لو كان الأمر إلى القوى المادية الظاهرة ما هزم المشركون ولا انتصرت العصبة المسلمة هذا الانتصار العظيم.

ولقد قال المشركون أنفسهم لحليفهم الذي أراد أن يمدهم بالرجال وهم ذاهبون للقتال: "فلعمري لئن كنا نقاتل الناس فما بنا من ضعف عنهم، ولئن كنا إنما نقاتل الله – كما يزعم محمد – فما لأحد بالله من طاقة". ولقد علموا – لو كان العلم يجدي – أنهم إنما يقاتلون الله كما قال لهم محمد الصادق الأمين، وأنه ما لأحد بالله من طاقة.. فإذا هلكوا بالكفر فإنما يهلكون عن بينة(٥).

والتعقيب على ذلك الجانب من التدبير الإلهي في المعركة، وعلى غاية هذا التدبير التي تحققت فعلاً هو قول الباري عز وجل: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.. فهو – سبحانه – لا يخفى عليه شيء مما يقول

---

(١) في ظلال القرآن، (٣/١٥٢٥).
(٢) سورة الأنفال / من الآية ٤١.
(٣) في ظلال القرآن، (٣/١٥٢٥).
(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (١٠/٧).
(٥) في ظلال القرآن، (٣/١٥٢٥).

فريق الحق أو فريق الباطل، ولا شيء مما يخفونه في صدورهم وراء الأقوال والأفعال، وهو يدبر ويقدر بإطلاعه على الظواهر وعلمه بالسرائر، وهو السميع العليم(١).

وبعد هذا التعقيب الذي يتوسط استعراض المعركة وأحداثها وملابساتها يمضي السياق القرآني في هذا الاستعراض، ويكشف التدبير الخفي اللطيف في قوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ﴾.

لقد كان من تدبير الله في المعركة أن يري رسول الله ﷺ الكافرين في الرؤيا في منامه قليلاً لا قوة لهم ولا وزن. فينبئ أصحابه برؤياه، فيستبشروا بها ويتشجعوا على خوض المعركة.. ثم يخبر الله هنا لم أراهم لنبيه قليلاً. فلقد علم – سبحانه – أنه لو أراهم له كثيراً، لفتّ ذلك في قلوب القلة التي معه، وقد خرجت على غير استعداد ولا توقع لقتال، ولضعفوا عن لقاء عدوهم، وتنازعوا فيما بينهم على ملاقاتهم، فريق يرى أن يقاتلهم وفريق يرى تجنب الالتحام بهم، وهذا النزاع في هذا الظرف هو أبأس ما يصيب جيشاً يواجه عدواً. لذلك كانت رحمة المولى عز وجل كبيرة وعظيمة بالمؤمنين إذ يقول سبحانه: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.. إذ أن الله تعالى كان يعلم بذوات الصدور، فلطف بالعصبة المسلمة أن يعرضها لما يعلمه من ضعفها في ذلك الموقف، فأرى نبيه المشركين في رؤياه قليلاً، ولم يرهم إياه كثيراً(٢).

وحينما التقى الجمعان وجهاً لوجه، تكررت الرؤيا النبوية الصادقة، في صورة عيانية من الجانبين، وكان هذا من التدبير الذي يذكرهم الله به عند استعراض المعركة وأحداثها وما وراءها. إذ يقول الله: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً﴾(٣).

لقد كان في هذا التدبير الإلهي ما أغرى الفريقين بخوض المعركة، والمؤمنون يرون أعداءهم قليلاً، لأنهم يرونهم بعين الحقيقة.. وهي حقيقة قلة وزن المشركين في ساحة المعركة، وخواء قلوبهم من الإدراك الواسع، والإيمان الدافع، والزاد النافع على الرغم من تعدادهم الكبير. أما المشركون فكانوا يرون المسلمين قلة – وهم يرونهم بعين الظاهر فقط – ومن وراء هاتين الحقيقتين اللتين رأى كل فريق منهما صاحبه بها، تحققت غاية التدبير الإلهي، ووقع الأمر الذي جرى به قضاؤه(٤).

---

(١) المصدر السابق، (٣/١٥٢٦).

(٢) ينظر: المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، (٢/١٢٥).

(٣) في ظلال القرآن، (٣/١٥٢٧).

(٤) المصدر السابق.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قلت لرجل إلى جنبي: أتراهم سبعين ؟ قال: أراهم مائة، فأسرنا رجلاً منهم فقلنا له: كم كنتم ؟ قال: ألفاً. وفي المقابل قال قائل من المشركين في وصفه لجيش المسلمين: إنما هم أكلة جزور .. ووجه الحكمة واللطف بالمسلمين في تقليلهم في أعين المشركين هو أنهم إذا رأوهم قليلاً أقدموا على قتالهم غير خائفين ولا مبالين بهم، ولا آخذين الحذر منهم، فلا يقاتلون بجد واستعداد ويقظة، ثم إذا ما التحموا بالقتال فعلاً تفاجئهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا، وتكسر شوكتهم حين يرون ما لم يكن في حسابهم وتقديرهم، فيكون ذلك من أسباب خذلانهم وانتصار المسلمين عليهم(١).

وفي ختام هذه الآيات المباركات يقول الله عز وجل: ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾.. وهو التعقيب المناسب لتحقق التدبير ووقوع القضاء، فهو أمر من الأمور التي مرجعها لله وحده، يصرفها بسلطانه، ويوقعها بإرادته. وبالتالي لا ينفذ شيء في الوجود كله إلا ما قضاه وأجرى به قدره.

الموضع الخامس: قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ * ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾(٢).

يقول تعالى: ولو عاينت يا محمد حال توفي الملائكة أرواح الكفار، لرأيت أمراً عظيماً هائلاً فظيعاً منكراً، إذ ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾. قال ابن عباس: إذا أقبل المشركون بوجوههم إلى المسلمين ضربوا وجوههم بالسيوف، وإذا ولوا أدركتهم الملائكة يضربون أدبارهم، وقال مجاهد في قوله: ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ يوم بدر، وقال سعيد بن جبير: ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ قال: وأستاههم، ولكنَّ الله يكني؛ والسياق وإن كان سببه وقعة بدر، ولكنه عام في حق كل كافر، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ﴾ ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ﴾(٣). أي باسطوا أيديهم بالضرب فيهم بأمر ربهم إذا استصعبت أنفسهم، وامتنعت من الخروج من الأجساد أن تخرج قهراً، وذلك إذا بشروهم بالعذاب والغضب من الله، كما جاء في حديث البراء: "أن ملك الموت

---

(١) ينظر: الكشاف، (٢/٢٢٥).

(٢) سورة الأنفال / الآيتان ٥٠-٥١ ... للتوسع في تفسير هاتين الآيتين راجع: في ظلال القرآن، (٣/١٥٣٣-١٥٣٤)، مختصر تفسير القرطبي، (٢/٢٨٧)، مختصر تفسير ابن كثير، (٢/١١٢-١١٣).

(٣) سورة الأنعام / من الآية ٩٣.

إذا جاء الكافر عند احتضاره في تلك الصورة المنكرة يقول" اخرجي أيتها النفس الخبيثة إلى سموم وحميم وظل من يحموم، فتتفرق في بدنه، فيستخرجونها من جسده كما يخرج السفود[١] من الصفوف المبلول، فتخرج معها العروق والعصب – ولهذا أخبر تعالى أن الملائكة تقول لهم: ﴿ **ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ** ﴾ذُوقُوا عَذَابَ الحريقِ"، وقوله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ** ﴾ أي هذا الجزاء بسبب ما عملتم من الأعمال السيئة في حياتكم الدنيا، جازاكم الله بها هذا الجزاء، ﴿ **وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ** ﴾: أي لا يظلم أحداً من خلقه، بل هو الحكم العدل الذي لا يجور، تبارك وتقدس الغني الحميد، ولهذا جاء في الحديث القدسي الصحيح: « يا عبادي إني حرّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا ... يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إيّاها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه »[٢][٣].

الموضع السادس: قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ * الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾[٤].

يحرض تعالى نبيه ﷺ والمؤمنين على القتال، ومناجزة الأعداء، ومبارزة الأقران، ويخبرهم أنه حسبهم: أي كافيهم ومؤيدهم على عدوهم، وإن كثرت أعدادهم وترادفت أمدادهم، ولو قل عدد المؤمنين. قال ابن أبي حاتم عن الشعبي في قوله: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ قال: حسبك الله وحسب من شهد معك، ولهذا قال: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ** ﴾ أي حثهم عليه، ولهذا كان رسول الله ﷺ يحرض على القتال عند صفهم ومواجهة العدو، كما قال لأصحابه يوم بدر حين أقبل المشركون في عددهم وعُدَدهم: (قوموا إلى جنة عرضها السماوات

---

(١) السفود والسفود، بالتشديد حديدة ذات شعب معقفة يشوى به اللحم، وجمعه سفافيد. ينظر: لسان العرب، (٤/٥٩٦).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه – باب تحريم الظلم، الجزء ١٠، ص:٨ وما بعدها هامش القسطلاني. ينظر: الأحاديث القدسية، لجنة من العلماء، ص: ١٧٥-١٧٦ .

(٣) ينظر في تفسير الآيتين: مختصر تفسير ابن كثير، (٢/١١٢-١١٣).

(٤) سورة الأنفال / الآيات ٦٤-٦٦ ... للتوسع في تفسير هذه الآيات راجع: في ظلال القرآن، (٣/١٥٤٩-١٥٥٠)، مختصر تفسير القرطبي، (٢/٢٩٢)، مختصر تفسير ابن كثير، (٢/١١٦-١١٧).

والأرض)[١]. ثم قال تعالى مبشراً للمؤمنين وآمراً: ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾. كل واحد بعشرة، ثم نسخ هذا الأمر وبقيت البشارة، قال عبد الله بن المبارك عن ابن عباس لما نزلت: ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾ شق ذلك على المسلمين حين فرض الله عليهم ألا يفر واحد من عشرة، ثم جاء التخفيف، فقال: ﴿ الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾ قال: خفف الله عنهم من العدة ونقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم. وروى البخاري نحوه، وعن ابن عباس قال: " لما نزلت هذه الآية ثقل على المسلمين وأعظموا أن يقاتل عشرون مائتين، ومائةٌ ألفاً، فخفف الله عنهم فنسخها بالآية الأخرى فقال: ﴿ الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾، فكانوا إذا كانوا على الشطر من عدوهم لم يسغ لهم أن يفروا من عدوهم، وإذا كانوا دون ذلك لم يجب عليهم قتالهم وجاز لهم أن يتحرزوا عنهم[٢]. وروى الحافظ ابن مردويه عن ابن عمر رضي الله عنهما في قوله: ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾ قال: نزلت فينا أصحاب محمد[٣] ﷺ.

* * *

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١) مختصر تفسير ابن كثير، (٢/١١٧).

(٢) وروي عن مجاهد وعطاء وعكرمة والحسن وزيد بن أسلم والضحّاك وغيرهم نحو ذلك ... ينظر: مختصر تفسير ابن كثير، (٢/١١٧).

(٣) المصدر السابق، (٢/١١٧).

المبحث الثاني

مواقف ودلالات القيادة النبوية الحكيمة للرسول الكريم ﷺ

(الأخذ بالأسباب)

تمهيد:

تبين لنا مما فاضت به صفحات المبحث الأول، أن الله عز وجل أيّد نبيه الكريم ﷺ، وثبّت أقدام جيش المسلمين، ونصرهم على أعدائهم من خلال العديد من مواقف التدبير الرباني العظيم.

ولكن على الرغم من ذلك ينبغي التنبه إلى أن الخوارق لم تكن وحدها أداة النصر والعامل الذي غلب به الرسول ﷺ، والذين يذهبون إلى هذا يسلبونه قوته قائداً. ثم كيف يحتذي المسلمون سيرته، ويتتبعون في الحروب نهجه وسنته، إذا لم يكن لفنه الحربي الأصيل، ومواهبه العسكرية النادرة، الأثر العظيم في ظفره ونصره؟ إن الخوارق كانت إيذاناً للنبي ﷺ بأن الله معه لا يتخلى عنه، حتى يشحذ همّته ويثير عزيمته، وينبهه بكل ما فيه من حواس اليقظة والحذر إلى أعدائه المحاربين.

ولقد عرضنا لهذه الخوارق والمعجزات التي أيد الله بها نبيه، وثبت رسوله ﷺ، والتي أثبتها القرآن الكريم بما لا يدع فيه مجالاً لشك أو ريبة. وسنقوم من خلال هذا المبحث بإبراز ما اشتملت عليه غزوة بدر المباركة من أعمال قام بها النبي ﷺ، عكست رفعة السمات القيادية التي تمتع بها ﷺ، والتي تعد أُسوة حسنة في الحروب لأتباعه.

لقد عمل الرسول ﷺ بكل مبادئ الحرب المعروفة، بالإضافة إلى مزاياه الشخصية الأخرى في القيادة، لهذا انتصر على أعدائه، ولو أغفل شيئاً من الحذر والحيطة والاستعداد، لتبدّل الحال إلى غير الحال، ولكن الله سلّم.

إن النصر من عند الله، ما في ذلك شك، ولكن الله لا يهب نصره لمن لا يعدّ كل متطلبات القتال.

إن المسلم حقاً، هو الذي يقدّر الرسول ﷺ حق قدره، فيعترف بأن كفاية الرسول ﷺ قائداً متميزاً، وكفاية أصحابه جنوداً متميزين، هي التي أمّنت لهم النصر العظيم بإذن الله تعالى.

أما أن نستند إلى الخوارق وحدها في الحرب، ونجعلها السبب الوحيد لانتصار المسلمين، فذلك يجعل هذا النصر لا قيمة له من الناحية العسكرية، بالإضافة إلى أن ذلك غير منطقي وغير معقول...

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ ﴾(١).

(١) سورة الأنفال / من الآية ٦٠.

إن أعمال الرسول ﷺ سنّة متبعة في كل زمان ومكان، فهل يبقى أتباعه ينتظرون الخوارق لينتصروا على أعدائهم، أم يعدّون ما استطاعوا من قوة، كما قرر القرآن الكريم لينالوا هذا النصر؟

إن سيرة الرسول ﷺ، تُثبت بشكل جازم لا يتطرّق إليه الشك، أن انتصاره كان لشجاعته الشخصية، ولقراراته المدروسة والسريعة الجازمة في أخطر الظروف، ولعزمه الأكيد في الأخذ بأسباب النصر، ولتطبيقه كل مبادئ الحرب المعروفة في كل معاركه، تلك العوامل الشخصية التي جعلته يتفوّق على أعدائه في الميدان، ولو لم تكن تلك الصفات الشخصية المدعومة بقوة الإيمان بالله، لما كُتب له النصر.

وسنقوم من خلال الصفحات اللاحقة بالحديث عن دلالات القيادة النبوية المتميزة للرسول الكريم ﷺ في غزوة بدر متسلسلة حسب تعاقب حدوثها ووقوعها في المعركة. تلك الدلالات التي كشفت النقاب بشكل واضح وجليّ عن جوانب العبقرية العسكرية التي تمتع بها النبي ﷺ:

١- جمع المعلومات الأولية عن قافلة المشركين:

إن الذي يقرأ سيرة النبي ﷺ في غزوة بدر وسائر الغزوات التي غزاها يلاحظ اهتمامه ﷺ بتلقط أخبار عدوه، وحرصه على أن يحصي عليه كل حركاته وسكناته، وكان من أجل ذلك يرسل المجموعات الصغيرة لمتابعة الجيش المعادي ورصده. ويرسل المجموعة الصغيرة في مقدمة الجيش تمسح المنطقة أمامه، تحسباً لكمين أو خشية رصد من العدو.

وكان رسول الله ﷺ قد خرج في غزوة العشيرة يريد اعتراض عير لقريش خارجة إلى الشام، فمرت القافلة قبل وصوله بأيام ولم يلحقها، فعاد بأصحابه إلى المدينة ينتظر ويتحسس أخبار عودة القافلة من الشام، فأرسل بسبس بن عمرو عيناً ينظر ما صنعت العير بقيادة أبي سفيان، فجاءه وأخبره بقفول أبي سفيان من الشام في قافلة عظيمة فيها ألف بعير محملة بتجارة قريش[١]، يحرسها معه ثلاثون أو أربعون رجلاً على أكثر التقديرات في ذلك[٢]، منهم مخرمة بن نوفل وعمرو بن العاص. فندب رسول الله ﷺ أصحابه للخروج وقال لهم: "هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله

---

(١) قُدرت قيمة البضائع التي تحملها القافلة بحوالي ٥٠ ألف دينار. ينظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، (١/٢٨٦).

(٢) جوامع السير لابن حزم، ص: ١٠٧.

ينفلكموها"(١). فانتدب الناس، فخف بعضهم وثقل بعضهم، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حرباً(٢).

وكان خروج النبي ﷺ من المدينة في اليوم الثاني عشر من شهر رمضان المبارك من السنة الثانية للهجرة، ومن المؤكد أنه حين خروجه ﷺ من المدينة لم يكن في نيته قتال وإنما كان قصده عير قريش، وكانت الحالة بين المسلمين وكفار مكة حالة حرب، وفي حالة الحرب تكون أموال العدو ودماؤهم مباحة، فكيف إذا علمنا أن جزءاً من هذه الأموال الموجودة في القوافل القرشية كانت للمهاجرين من أهل مكة قد استولى عليها المشركون ظلماً وعدواناً(٣).

٢- مشاورة النبي ﷺ لأصحابه في أمر الخروج إلى الحرب(٤):

خرج الرسول ﷺ من المدينة قاصداً قافلة قريش، وسار بالمسلمين حتى بلغوا وادي ذفران وهو واد قريب من الصفراء(٥) فنزل المسلمون بهذا الوادي. وجاءهم الخبر بخروج قريش للذود عن القافلة التي كان فيها كل أموالهم فليس هناك بيت في مكة إلا وله مال وتجارة في هذه العير.

تغير الموقف ... فبعد أن كان الناس قد خرجوا لملاقاة العير وليس فيها سوى ثلاثين أو أربعين رجلاً على أكثر التقديرات صار الأمر احتمالاً لملاقاة جيش كبير، كثير العدد، مكتمل العدة. فها هي ذي قريش خرجت عن بكرة أبيها تدافع عن ثروتها وحياتها، فتجارة الشام وطريق القوافل وأمنها أهم من كل شيء عند القرشيين.

لم يكن الموقف مفاجئاً عند النبي ﷺ، فقد وعده الله إحدى الطائفتين... العير أو النفير. فاحتمال الحرب قائم عنده ﷺ. ولا شك أنه موقن بنصر الله إن كانت العير أو النفير. ولكنه لا بد أن يضع المثل والقدوة للمسلمين وأئمتهم وحكامهم. فهذا موقف جديد يجب أن يقدم الناس عليه راضين مطمئنين إلى نصر الله وهم مستعدون عن طيب خاطر لبذل المهج والأرواح في نصر الدين وإعلاء كلمة الله عز وجل.

جمع رسول الله ﷺ أصحابه وعرض عليهم الموقف الجديد وطلب أن يسمع رأيهم فيه حتى يستوثق من استعدادهم لملاقاة عدوهم في معركة حاسمة ستغير وجة التاريخ لا في الجزيرة العربية وحدها فحسب

(١) دلائل النبوة، (٣/٣٢)، وعيون الأثر، (١/٢٤٢).
(٢) بدر الكبرى: المدينة والغزوة، ص: ٩٥.
(٣) حديث القرآن عن غزوات الرسول ﷺ، (١/٤٣).
(٤) بدر الكبرى: المدينة والغزوة، ص: ١٠١-١٠٢.
(٥) الصفراء: واد من ناحية المدينة كثير الخيرات. للتفاصيل ينظر: معجم البلدان، (٥/٣٦٧).

بل في العالم أجمع، معركة هي تحول كبير في علاقات المسلمين بقريش ومشركي مكة، والقبائل من حول مكة والمدينة، معركة هي مَعْلَم من معالم تاريخ الأمة الإسلامية. معلم واضح سيظل خالداً على الدهر وإن انمحت من حوله معالم كثيرة.

أخبر رسول الله ﷺ أصحابه بخروج قريش، وتوقع نشوب معركة، فأبدى بعض الصحابة عدم ارتياحهم لمسألة المواجهة الحربية مع قريش إذ أنهم لم يتوقعوا المواجهة ولم يستعدوا لها، وحاولوا إقناع الرسول ﷺ بوجهة نظرهم، وقد صوّر القرآن الكريم موقفهم وأحوال الفئة المؤمنة عموماً في قوله تعالى: ﴿ **كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ * يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ * وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ * لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ** ﴾(١).

استشار النبي ﷺ أصحابه بعد أن عرض عليهم الموقف الجديد قائلاً: "أشيروا عليَّ أيها الناس" فأجمع قادة المهاجرين والأنصار على الوقوف صفاً واحداً خلف قيادة الرسول ﷺ، ودليل ذلك مقالة المقداد بن الأسود، وأبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وسعد بن معاذ رضوان الله عليهم أجمعين. وقد سُرَّ رسول الله ﷺ بما سمعه من أصحابه، واستراحت نفسه، واستبان له موقف المسلمين، واستعدادهم لملاقاة قريش ومن معها خارج ديارهم.

٣- شعار المسلمين:

قال ابن هشام: وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم بدر أحد أحد(٢).

٤- أمرُ النبي ﷺ بقطع الأجراس من أعناق الإبل:

روى الإمام أحمد بسنده عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ أمر بالأجراس أن تقطع من أعناق الإبل يوم بدر(٣). وروى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تصحب الملائكة رُفقةً فيها كلب ولا جرس»(٤).

---

(١) سورة الأنفال / الآيات ٥-٨.
(٢) السيرة النبوية لابن هشام، (٢/ ٢٧٥). عيون الأثر، (١/ ٢٦٠).
(٣) مسند الإمام أحمد، (٦/ ١٥٠).
(٤) أخرجه مسلم. ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي، الحديث رقم ٢١١٣، (٧/ ٣٤٦).

٥- المسير إلى لقاء العدو وجمع المعلومات الاستخباراتية عنه:

نظم النبي ﷺ جنده بعد أن رأى طاعة الصحابة رضي الله عنهم، وشجاعتهم واجتماعهم على القتال، وعقد اللواء الأبيض وسلّمه إلى مصعب بن عمير، وأعطى رايتين سوداوين إلى سعد بن معاذ، وعلي بن أبي طالب(١).

وقام ﷺ ومعه أبو بكر رضي الله عنه يستكشف أحوال جيش المشركين وبينما هما يتجولان في تلك المنطقة لقيا شيخاً من العرب، فسأله رسول الله ﷺ عن جيش قريش، وعن محمد وأصحابه، فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما. فقال له رسول الله ﷺ: «إذا أخبرتنا أخبرناك» فقال: أو ذاك بذاك؟ قال: «نعم». فقال الشيخ: فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا - للمكان الذي به جيش المسلمين - وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا - للمكان الذي فيه جيش المشركين - ثم قال الشيخ: لقد أخبرتكما عما أردتما، فأخبراني ممن أنتما؟ فقال رسول الله ﷺ: «نحن من ماء». ثم انصرف النبي ﷺ وأبو بكر عن الشيخ، وبقي الشيخ يقول: ما من ماء؟ أمن ماء العراق؟!(٢)

وفي مساء ذلك اليوم الذي خرج فيه رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه، أرسل ﷺ علي بن أبي طالب، والزبير بن العوّام، وسعد بن أبي وقاص، وبسبس بن عمرو رضوان الله عليهم أجمعين، أرسلهم في نفر من أصحابه إلى ماء بدر يتسقطون له الأخبار عن جيش قريش، فوجدوا غلامين يستقيان لجيش المشركين فأتوا بهما إلى رسول الله ﷺ، فقال لهما: «أخبراني عن جيش قريش» فقالا: هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى. فقال لهما: «كم القوم؟» قالا: كثير. فقال: «ما عدتهم؟» قالا: لا ندري. قال الرسول ﷺ: «كم ينحرون كل يوم؟» قالا: يوماً تسعاً ويوماً عشراً، فقال رسول الله ﷺ: «القوم ما بين التسعمائة والألف» فقال لهما: فمن فيهم من أشراف قريش؟ فقالا: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو البختري بن هشام، وحكيم بن حزام، ونوفل بن خويلد، والحارث بن عامر ابن نوفل، وطعيمة بن عدي بن نوفل، والنضر بن الحارث، وزمعة بن الأسود، وأبو جهل بن هشام، وأميّة بن خلف، ونُبيه ومُنبه ابنا الحجاج، وسُهيل بن عمرو، وعمرو بن عبد ود(٣).

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، (٣/١٧٢).

(٢) عيون الأثر، (١/٢٥٢).

(٣) بدر الكبرى: المدينة والغزوة، ص: ١٠٦.

فأقبل رسول الله ﷺ إلى أصحابه قائلاً: «هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها»[١]. فكان قول الرسول ﷺ بمثابة تشجيع وتحريض للمؤمنين على قتال المشركين والانتصار عليهم.

ومن الحق أن نقول: أن دارس هذه الغزوة يلاحظ أيضاً أن قائد القافلة أبا سفيان بن حرب كان يقظاً حذراً، يتلقط أخبار المسلمين ويسأل عن تحركاتهم، بل هو يتحسس أخبارهم بنفسه.

إن كتب السيرة تروي لنا أن أبا سفيان وهو قادم من الشام قد تقدم إلى ماء بدر حذراً وسأل من كان هناك: هل رأيتم من أحد ؟ قال: أروني مناخ ركابهما، فأروه، فأخذ البعر ففتته فإذا هو فيه النوى. فقال: هذا والله علائف يثرب[٢].

ولما أيقن أبو سفيان أن الرسول ﷺ وأصحابه يطاردون القافلة وقد يستولون عليها في أية لحظة، اتخذ تدبيرين على الفور هما[٣]:

التدبير الأول: اختار رجلاً اسمه ضمضم بن عمرو الغفاري وأرسله إلى قريش يستغيث بهم لحماية قافلتهم، وقد تعرّض لها محمد ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

التدبير الثاني: غير طريق القافلة العادية التي قد ينتظر الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم القافلة فيها، فاتجه نحو ساحل البحر الأحمر، وسار على سيف البحر حتى وصل مكة ناجياً بالقافلة.

ولغرض التعرف إلى رسم توضيحي لمخطط سير جيش المسلمين وجيش المشركين في طريقهما إلى ميدان المعركة ... ينظر: الملحق (رقم / ٢).

٦- رفض النبي ﷺ الاستعانة بمشرك في قتال المشركين:

روى الإمام مسلم بسنده عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: خرج رسول الله ﷺ قِبَل بدر. فلما كان بمنطقة (حَرَّة الوَبرة)[٤] أدركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة. ففرح أصحاب رسول الله ﷺ حين رأوه. فلما أدركه قال لرسول الله ﷺ: جئت لاتبعك وأصيب معك. قال له رسول الله ﷺ: «تؤمن بالله ورسوله؟» قال: لا. قال: «فارجع. فلن أستعين بمشرك». قالت: ثم مضى. حتى إذا كنا بالشجرة أدركه الرجل. فقال له كما قال أول مرة. فقال له النبي ﷺ كما قال أول مرة. قال: «فارجع

---

(١) رواه ابن إسحاق في سيرته. ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، (١ / ٦١٧).

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد، (٢ / ٢٤).

(٣) في ظلال السيرة النبوية: غزوة بدر الكبرى، ص: ٣٣-٣٤.

(٤) حرة الوبرة: موضع على أربعة أميال من المدينة المنورة. ينظر: معجم البلدان، (٣ / ٢٦٣).

فلن أستعين بمشرك». قال: ثم رجع فأدركه بالبيداء. فقال له كما قال أول مرة: «تؤمن بالله ورسوله؟» قال: نعم. فقال له رسول الله ﷺ: «فانطلق»(١).

٧- الأخذ بمشورة الحباب بن المنذر في بدر:

بعد أن جمع ﷺ معلومات دقيقة عن قوات قريش سار مسرعاً ومعه أصحابه إلى بدر ليسبقوا المشركين إلى ماء بدر، وليحولوا بينهم وبين الاستيلاء عليه، فنزل عند أدنى ماء بدر، وهنا قام الحباب بن المنذر وقال: يا رسول الله: أرأيت هذا المنزل، أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة». قال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض يا رسول الله بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم - أي جيش المشركين - فننزله ونغوّر(٢) ما وراءه من الآبار ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماءً ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون، فأخذ النبي ﷺ برأيه ونهض بالجيش حتى أقرب ماء من العدو فنزل عليه ثم صنعوا الحياض وغوّروا ما عداها من الآبار(٣).

٨- بناء عريش القيادة:

بعد نزول النبي ﷺ والمسلمين معه على أدنى ماء بدر من المشركين، اقترح سعد بن معاذ على رسول الله ﷺ بناء عريش له يكون مقراً لقيادته ويأمن فيه من العدو، وكان مما قاله سعد في اقتراحه: يا نبي الله ألا نبني لك عريشاً تكون فيه ثم نلقى عدونا فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا، فقد تخلف عنك أقوام، يا نبي الله، ما نحن بأشدَّ لك حباً منهم، ولو ظنّوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم ويناصحونك ويجاهدون معك. فأثنى النبي ﷺ خيراً ودعا له بخير، ثم بنى المسلمون العريش لرسول الله ﷺ على تلٍّ مشرف على ساحة القتال، وكان معه أبو بكر رضي الله عنه، وكانت ثلة من شباب الأنصار بقيادة سعد بن معاذ يحرسون عريش رسول الله ﷺ(٤).

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، الحديث رقم ١٨١٧، (٦/٤٣٧-٤٣٨).
(٢) نغوّر: ندفن ونطم. ينظر: لسان العرب، (٦/٥١٤).
(٣) قصة الحباب تتقوى وترتفع إلى درجة الحسن. ينظر: مرويات غزوة بدر، أحمد باوزير، ص: ١٦٤. عيون الأثر، (١/٢٥١). دلائل النبوة، (٣/٣٥).
(٤) عيون الأثر، (١/٢٥٢). دلائل النبوة، (٣/٤٤).

٩- خطة الرسول ﷺ في المعركة:

كان رسول الله ﷺ هو القائد العام للمسلمين في معركة بدر، وكان المسلمون يعملون يداً واحدة تحت قيادته ... يوجههم في الوقت الحاسم للمحل الحاسم بعمل حاسم، وهذا هو واجب القائد الكفء.

طبق الرسول ﷺ في (مسير الاقتراب)(١) من المدينة المنورة إلى (بدر) تشكيلاً لا يختلف بتاتاً عن التعبئة الحديثة في حرب الصحراء؛ إذ كانت للجيش مقدمة وقسم أكبر ومؤخرة، واستفاد من دوريات الاستطلاع للحصول على المعلومات، وتلك هي الأساليب الصحيحة لتشكيلات مسير الاقتراب في حرب الصحراء حتى في العصر الحاضر(٢).

أما في المعركة، فقد قاتل المسلمون بأسلوب: (الصفوف)، بينما قاتل المشركون بأسلوب: (الكرّ والفر). وقد أشار القرآن الكريم إلى أسلوب الصفوف في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ**﴾(٣). وصفة هذا الأسلوب أن يكون المقاتلون على هيئة صفوف الصلاة، وتقل هذه الصفوف أو تكثر تبعاً لقلة المقاتلين أو كثرتهم.

ولا بد من التمييز بين الأسلوبين، لمعرفة عامل مهم من عوامل الأخذ بالأسباب ساهم بشكل رئيسي في انتصار المسلمين(٤):

القتال بأسلوب: (الكرّ والفر) ... هو أن يهجم المقاتلون بكل قوتهم على العدو. النشّابة منهم والذين يقاتلون بالسيوف ويطعنون بالرماح، مشاة وفرساناً، فإن صمد لهم العدو أو أحسّوا بالضعف نكصوا، ثم أعادوا تنظيمهم وكرّوا، وهكذا يكرّون ويفرون حتى يُكتب لهم النصر أو الهزيمة.

أما القتال بأسلوب: (الصفوف) ... فيكون بترتيب المقاتلين صفين أو ثلاثة صفوف أو أكثر على حسب عددهم، وتكون الصفوف الأمامية من المسلحين بالرماح لصد هجمات الفرسان، وتكون الصفوف المتعاقبة الأخرى من المسلحين بالنبال لتسديدها على المهاجمين من الأعداء.

---

(١) مسير الاقتراب: الحركة من القاعدة إلى الهدف، إذ كانت قاعدة المسلمين متمثلة بالمدينة المنورة، وكان هدفهم موقع (بدر)، فالحركة من المدينة المنورة بالمراحل إلى (بدر)، يطلق عليه: مسير الاقتراب. ينظر: الرسول القائد، محمود شيت خطّاب، ص: ١١٦.

(٢) الرسول القائد، ص: ١١٦.

(٣) سورة الصف / الآية ٤.

(٤) الرسول القائد، ص: ١١٦-١١٧.

وتبقى الصفوف في مواضعها بسيطرة قائدها، إلى أن يفقد زخم المهاجمين بالكرّ والفر شدّته. عند ذاك تتقدم الصفوف متعاقبة للزحف على العدو.

استعرض الرسول ﷺ أصحابه قبل القتال، فعندما رآهم يتزاحمون ويدنو بعضهم من بعض جعلهم صفوفاً وأخذ يعدل صفوفه. وأمرهم أن يصدوا هجوم العدو وهم مرابطون في مواقعهم، وذلك بتسديد النبال إلى صدور العدو، كما أمرهم ألاّ يحملوا إلا بأمر منه. فلما تهاوت رجال قريش وضعُف زخم هجومهم، أصدر ﷺ أمره إلى المسلمين بالهجوم، ثم بالمطاردة بعد انهزام المشركين(١).

لقد سيطر الرسول ﷺ على (الصفوف) في دفاعها وهجومها ومطاردتها، حتى لم يتقدم أحد للمبارزة إلا بأمر منه، ولم يقم المسلمون بأي عمل حربي إلا بأمر منه أيضاً. وبذلك أمّن ﷺ السيطرة على قواته والاحتياط اللازم لها تماماً كما في الحروب الحديثة(٢).

وتحدث ابن خلدون عن الأساليب القتالية الجديدة، التي استحدثها النبي ﷺ في معاركه، والتي لم يكن للعرب عهد بها، فقال مشيراً إلى ذلك: وكانت الحرب أول الإسلام كلّه زحفاً، وكان العرب إنما يعرفون الكرّ والفر(٣).

وتفصيل ذلك اتباعه ﷺ أسلوب الدفاع ولم يهاجم قوة قريش، وكانت توجيهاته التكتيكية التي نفذها جنوده بكل دقة سبباً في زعزعة مركز العدو وإضعاف نفسيته، وبذلك تحقق النصر الحاسم بتوفيق الله عز وجل، على العدو برغم تفوقه بنسبة (٣ إلى ١)(٤). فقد كان ﷺ يتصرف في كل موقف حسب ما تدعو إليه المصلحة وذلك لاختلاف مقتضيات الأحوال والظروف. وقد طبّق الرسول ﷺ في الجانب العسكري أسلوب القيادة التوجيهية في مكانها الصحيح، أما أخذه بالأسلوب الإقناعي في غزوة بدر فقد تجلّى في ممارسة فقه الاستشارة في مواضع متعددة، لأنه ﷺ لا يقود جنده بمقتضى السلطة، بل بالكفاءة والثقة، وهو ﷺ لا يستبد برأيه، بل يتبع مبدأ الشورى وينزل عند الرأي الذي يراه صواباً، **ومارس ﷺ في غزوة بدر أسلوب القيادة التوجيهية، الأمر الذي تجلى في عدة أمور، منها(٥):**

(١) المصدر السابق، ص: ١١٧.
(٢) المصدر السابق، ص: ١١٨.
(٣) مقدمة ابن خلدون، ص: ٢٧١.
(٤) مقومات النصر، أحمد أبو الشباب، (٢/ ١٥٤).
(٥) في ظلال السيرة النبوية: غزوة بدر الكبرى، ص: ٦٣-٦٤.

الأمر الأول: أمره ﷺ الصحابة برمي الأعداء إذا اقتربوا منهم، لأن الرمي يكون أقرب إلى الإصابة في هذه الحالة ... «إن دنا القوم منكم فانضحوهم النبل».

الأمر الثاني: نهيه ﷺ عن سل السيوف إلى أن تتداخل الصفوف ... «ولا تسلّوا السيوف حتى يغشوكم».

الأمر الثالث: أمره ﷺ الصحابة بالاقتصاد في الرمي ... «واستبقوا نبلكم».

وعندما نقارن هذه التعليمات الحربية بالمبادئ الحديثة في الدفاع نجد أن رسول الله ﷺ كان سبّاقاً إليها من غير عكوف على الدرس، ولا التحاق بالكليات الحربية، فالنبي ﷺ يرمي من وراء تعليماته التي استعرضناها آنفاً إلى تحقيق ما يعرف حديثاً بـ "كبت النيران" إلى اللحظة التي يصبح فيها العدو في المدى المؤثر لهذه الأسلحة، وهذا ما قصده النبي ﷺ في قوله: «استبقوا نبلكم». (للتعرف إلى رسم توضيحي لمخطط غزوة بدر الكبرى يبين موقع وتنظيم جيش المسلمين وجيش المشركين ... ينظر: الملحق رقم /٣).

١٠- فرصة الاستفادة من الظروف الطبيعية:

لم يهمل النبي ﷺ فرصة الاستفادة من الظروف الطبيعية أثناء قتال العدو، فقد كان يستفيد من كل الظروف في ميدان المعركة لمصلحة جيشه، ومن الأمثلة على ذلك ما فعله ﷺ قبل بدء القتال يوم بدر، إذ يقول المقريزي: وأصبح ﷺ ببدر قبل أن تنزل قريش، فطلعت الشمس وهو يصفّهم، فاستقبل المغرب وجعل الشمس خلفه فاستقبلوا الشمس[١].

وهذا التصرف يدل على حُسن تدبيره ﷺ، واستفادته حتى من الظروف الطبيعية لما يحقق المصلحة لجيشه، وإنما فعل ذلك لأن أشعة الشمس إذا كانت في وجه المقاتل تسبّب له عشا البصر فتقلّ مقاومته ومجابهته لعدوه، وفيما فعله رسول الله ﷺ يوم بدر إشارة إلى أن الظروف الطبيعية كالشمس، والريح، والتضاريس الجغرافية وغيرها لها تأثير عظيم على موازين القوى في المعارك، وهي من الأسباب التي أمرنا الله عز وجل بالأخذ بها لتحقيق النصر والصعود إلى المعالي.

١١- تحريض النبي ﷺ أصحابه على القتال:

كان رسول الله ﷺ يربي أصحابه على أن يكونوا أصحاب إرادة قوية، وراسخة، وثابتة ثبات الشمّ الرواسي، فيملأ قلوبهم شجاعة وجرأة وأملاً في النصر على الأعداء، وكان يسلك في سبيل تكوين هذه

(١) القيادة العسكرية في عهد الرسول ﷺ، عبد الله الرشيد، ص: ٤٥٣.

الإرادة القوية أسلوب الترغيب والترهيب. الترغيب في أجر المجاهدين الثابتين، والترهيب من التولي يوم الزحف، والفرار من ساحات الوغى. كما كان يحدثهم عن عوامل النصر وأسبابه ليأخذوا بها ويلتزموها، ويحذرهم من أسباب الهزيمة ليقلعوا عنها، وينأوا بأنفسهم عن الاقتراب منها.

وكان ﷺ يحثّ أصحابه على القتال ويحرضهم عليه امتثالاً لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾(١).

وفي غزوة بدر الكبرى قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا إلى جنةٍ عرضها السماوات والأرض». فقال عُمير بن الحمام الأنصاري رضي الله عنه: يا رسول الله جنةٍ عرضها السماوات والأرض؟ قال: «نعم». قال: بخ بخ(٢). فقال رسول الله ﷺ: «ما يحملك على قولك: بخ بخ؟». قال: لا والله يا رسول الله، إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: «فإنك من أهلها». فأخرج ثمرات من قرنه (جعبة النشاب) فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة. قال: فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قُتل(٣).

ومن صور التعبئة المعنوية أنه ﷺ كان يبشر المقاتلين المسلمين بقتل صناديد قريش، وزيادة لهم في التطمين كان يحدد مكان قتل كل واحد منهم(٤). وقد أخرج مسلم، أن رسول الله ﷺ قال: «هذا مصرع فلان»، قال: ويضع يده على الأرض، هَهُنا وهَهُنا. قال: فما ماط أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ(٥).

وكان يبشر المؤمنين بالنصر قبل بدء القتال، فيقول: «أبشر يا أبا بكر»، ووقف رسول الله ﷺ يقول للصحابة رضي الله عنهم: «والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيُقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة»(٦). وقد أثّرت هذه التعبئة المعنوية تأثيراً بالغاً في نفوس أصحاب رسول الله ﷺ.

---

(١) سورة الأنفال / الآية ٦٥.
(٢) بخ بخ: تقال لتعظيم الأمر وتفخيمه. ينظر: لسان العرب، (١/٣٣٩).
(٣) مختصر صحيح مسلم، للمنذري، الحديث رقم١١٥٧، (٢/٧٠).
(٤) جامع الأصول، لابن الأثير، (٨/٢٠٢) قال: أخرجه مسلم وأخرج النسائي نحوه.
(٥) صحيح مسلم بشرح النووي، الحديث رقم ١٧٧٩، (٦/٣٦٦).
(٦) السيرة النبوية لابن هشام، (١/١٦٦).

وجاء في مغازي الواقدي، أن رسول الله ﷺ خطب بالمؤمنين يوم بدر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال وهو يأمرهم ويحثهم ويرغبهم في الأجر: «أما بعد: فإني أحثكم على ما حثكم الله عليه، وأنهاكم عمّا نهاكم الله عنه، فإن الله عظيم شأنه، يأمر بالحق، ويحب الصدق، ويعطي على الخير أهله على منازلهم عنده، به يذكرون وبه يتفاضلون، وإنكم قد أصبحتم من منازل الحق، لا يقبل الله فيه من أحد إلا ما ابتغى به وجهه. وإن الصبر في مواطن البأس مما يفرِّج الله به الهم، وينجي به من الغم، وتدركون به النجاة في الآخرة، فيكم نبي الله يحذركم ويأمركم فاستحيوا اليوم ان يطلع الله عز وجل على شيء من أمركم يمقتكم عليه فإن الله يقول: ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾(١). انظروا إلى الذي أمركم به في كتابه وأراكم آياته، وأعزكم بعد ذلة. فاستمسكوا برضى ربكم عنكم، وأبلوا ربكم في هذه المواطن أمراً تستوجبوا الذي وعدكم به من رحمته ومغفرته فإن وعده حق، وقوله صدق، وعقابه شديد، وإنما أنا وأنتم بالله الحي القيوم إليه ألجأنا ظهورنا، وبه اعتصمنا، وعليه توكلنا، وإليه المصير، يغفر الله لي وللمسلمين»(٢).

١٢- وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى:

قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾(٣)... ورد تفسير وبيان معنى هذه الآية في المبحث الأول، وذلك ضمن دلالات المدد الربّاني في غزوة بدر. وقد تم الإشارة إليها في هذا المقام مرة ثانية لأنها تحمل معنىً ثانياً يتمثل بقيام النبي ﷺ بالأخذ بالأسباب من خلال الابتداء بالرمي، وتكفل الله عز وجل بإيصال رمية رسوله الكريم ﷺ(٤).

وهذا الموقف يثبت أن معركة بدر الكبرى جمعت بين ثناياها مبدأ الأخذ بالأسباب بالقدر الممكن، مع التوفيق الربّاني في تهيئة جميع أسباب النصر متعاونة ومتكافئة مع التأييدات الربّانية الخارقة والغيبية.

١٣- مشاركة النبي ﷺ في القتال:

روى الإمام أحمد بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً(٥).

---

(١) سورة غافر / من الآية ١٠.

(٢) بدر الكبرى: المدينة والغزوة، ص:١٤٢.

(٣) سورة الأنفال / من الآية ١٧.

(٤) للتعرف إلى تفسير هذه الآية راجع المبحث الأول، فقرة الموضع الثالث.

(٥) مسند الإمام أحمد، (١/٨٦).

إن هذه المشاركة ينبغي أن تحفِّز القادة العسكريين في العصر الحاضر – الساعين إلى التأسي بالنبي ﷺ – على التقدم مع جنودهم عند قتال العدو في ساحة المعركة، وتجنب البقاء في الخطوط الخلفية للجيش، لما لذلك من انعكاسات سلبية على نفسيات المحاربين، ومن ثم على مجريات المعركة برمّتها ونتائجها.

١٤- بقاء الرسول ﷺ وجيشه بعد الانتصار ثلاثة أيام في أرض المعركة:

انتهت معركة بدر بانتصار المسلمين على المشركين، وكان قد قُتل من المشركين سبعون رجلاً، وأسر منهم سبعون، وكان أكثرهم من قادة قريش وزعمائهم، واستشهد من المسلمين أربعة عشر رجلاً، منهم ستة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار. ولمّا تم الفتح وانهزم المشركون، أرسل ﷺ عبد الله بن رواحة، وزيد بن حارثة، ليبشروا المسلمين في المدينة بنصر الله للمسلمين وهزيمة المشركين(١).

ومكث ﷺ في بدر ثلاثة أيام، فعن أنس رضي الله عنه قال: "أنه ﷺ كان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة(٢) ثلاث ليال"(٣). وهذا ما يؤكد بأنه على القائد العسكري أن يلازم أرض المعركة بعد تحقيق النصر بغية التثبت من القضاء على فلول العدو بشكل تام وكامل، وبغية تصفية جميع الأمور والمتعلقات الأخرى المتمثلة بدفن الشهداء، وتوزيع الغنائم وما إلى ذلك.

١٥- وفاء الرسول القائد ﷺ حتى مع المشركين:

قال رسول الله ﷺ في أسارى بدر: «لو كان مطعم بن عدي حيّاً، ثم كلمني في هؤلاء النتنى(٤) لأطلقتهم له»(٥).

وهذا الحديث تعبير عن الوفاء والاعتراف بالجميل، فقد كان لمطعم مواقف تذكر بخير، فهو الذي دخل الرسول ﷺ في جواره حينما عاد من الطائف، كما كان من أشد القائمين على نقض الصحيفة يوم حوصر المسلمون وبنو هاشم(٦). وهذا يدل على قمة الوفاء لمواقف الرجال حتى وإن كانوا مشركين.

---

(١) المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، (٢/١٣٣).

(٢) العرصة: يراد بها ساحة المعركة. وهي كل موضع واسع لا بناء فيه. ينظر: لسان العرب، (٦/١٧٧).

(٣) صحيح السيرة النبوية. ص: ٢٥٠.

(٤) النتنى: جمع نتن، وهو من أصبحت رائحته كريهة أو خبيثة. ينظر: لسان العرب، (٨/٤٤٨).

(٥) سنن أبي داود، باب المن على الأسير، الحديث رقم ٢٦٨٩، وإسناده صحيح.

(٦) من معين السيرة، صالح أحمد الشامي، ص: ٢٠٨.

١٦- إظهار القوة في التعامل مع المجرمين:

وإذا كان هذا الوفاء لرجل مثل المطعم بن عدي، فلا بد من الحزم مع مجرمي الحرب، ورؤوس الفتنة، أمثال عقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث. إذ كانا من أكبر دعاة الحرب ضد الإسلام، ويتربصون بالمسلمين الدوائر مما حمل رسول الله ﷺ على أن يأمر بقتلهما، وذلك في طريق عودته إلى المدينة(١).

أما النضر بن الحارث فقد كان يطعن في كتاب الله سبحانه وتعالى، ويشتم رسول الله ﷺ، ويصرف الناس عنه، فكلما تلا الرسول ﷺ القرآن على الناس، جلس بعده ليقص عليهم قصصاً تعلمها من فارس كي يصرف الناس عن الاستماع إلى رسول الله ﷺ والاستجابة له. وأما عقبة بن أبي معيط فقد قال رسول الله ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم: «أتدرون ما صنع هذا بي ؟» ... قال ﷺ: «جاء وأنا ساجد خلف المقام فوضع رجله على عنقي وغمزها، فما رفعها حتى ظننت أن عينيَّ ستندران(٢)، وجاء مرة أخرى بسلا شاة فألقاه على رأسي وأنا ساجد، فجاءت فاطمة فغسلته عن رأسي»(٣).

١٧- معالجة موضوع الأسرى جانب من المنهج النبوي القيادي الحكيم(٤):

ولنا أن نتناول موضوع الأسرى من زاويتين:

الزاوية الأولى: وتتعلق بكيفية تعامل المسلمين مع أسرى المشركين:

لما رجع الرسول ﷺ إلى المدينة فرّق الأسرى بين أصحابه، وأوصاهم بوجوب معاملتهم معاملة حسنة، وبهذه التوصية النبوية الكريمة ظهر تحقيق قول الله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾(٥). فهذا أبو عزيز بن عمير أخو مصعب بن عمير يحدثنا عما رأى قال: كنت في الأسرى يوم بدر، فقال رسول الله ﷺ: «استوصوا بالأسارى خيراً»، وكنت في نفر من الأنصار فكانوا إذا قدّموا غداءهم وعشاءهم أكلوا التمر وأطعموني البُرّ لوصية رسول الله ﷺ(٦).

---

(١) من معارك الإسلام الفاصلة: غزوة بدر الكبرى، محمد أحمد باشميل، ص: ١٦٢.

(٢) ستندران: ستسقطان. وندر تأتي بمعنى سقط. ويقال: أندر من الحساب كذا وكذا، وضرب يده بالسيف فأندرها. ينظر: لسان العرب، (٨/ ٥٠٢). ينظر الخبر في: السيرة النبوية لابن كثير، (٢/ ٤٣٥-٤٣٦).

(٣) السيرة النبوية لابن كثير، (٢/ ٤٧٣).

(٤) للتوسع في كيفية معالجة موضوع الأسرى ... ينظر: غزوات خلّد القرآن الكريم ذكرها، محمد عبد السلام أبو النيل، ص: ٦٦-٧٨.

(٥) سورة الإنسان / الآية ٨.

(٦) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، (٦/ ٨٦).

وهذا أبو العاص بن الربيع يحدثنا قال: كنت في رهط من الأنصار جزاهم الله خيراً، كنّا إذا تعشينا أو تغدينا آثروني بالخبز وأكلوا التمر، والخبز معهم قليل، والتمر زادهم حتى إن الرجل لتقع في يده كسرة فيدفعها إليّ. وكان الوليد بن الوليد بن المغيرة يقول مثل ذلك ويزيد. وكانوا يحملوننا ويمشون(١).

لقد كان لوصية رسول الله ﷺ- المتمثلة بوجوب التعامل برحمة مع الأسرى- الأثر الكبير في إسراع مجموعة من أشراف الأسرى وأفاضلهم إلى الإسلام، فأسلم أبو عزيز، وأسلم معه السائب بن عُبيد(٢). إذ سرت دعوة الإسلام إلى قلوبهم، وطَهُرت نفوسهم، وعاد الأسرى إلى بلادهم وأهليهم، يتحدثون عن محمد ﷺ ومكارم أخلاقه، وعن محبته وسماحته، وعن دعوته وما فيها من البر والتقوى، والإصلاح والخير.

إن هذه المعاملة الكريمة للأسرى شاهد على سمو قيم الإسلام ومبادئه في المجال الأخلاقي، إذ نال أعداء الإسلام من معاملة الصحابة رضي الله عنهم أعلى درجات مكارم الأخلاق، التي تتمثل في خُلق الإيثار.

الزاوية الثانية: وتتعلق بمشاورة الرسول ﷺ المسلمين في حكم الأسرى:

أسر المسلمون سبعين رجلاً من قريش، فما الحكم فيهم؟ ... لقد شاور النبي ﷺ المسلمين في حكم الأسرى فنتجت عن هذه المشورة ثلاثة آراء:

الرأي الأول: أن تؤخذ الفدية من الأسرى .. وهذا رأي الصدِّيق رضي الله عنه ومال إليه رسول الله ﷺ وأكثر المسلمين.

الرأي الثاني: عدم مفاداة الأسرى ولا المن عليهم، وقتلهم جميعاً .. وقال بهذا الرأي عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قال أبو زميل: قال ابن عباس: فلما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «ما ترون في هؤلاء الأسارى» فقال أبو بكر: يا نبي الله، هم بنو العم والعشيرة. أرى أن تأخذ منهم فديةً، فتكون لنا قوة على الكفار. فعسى الله أن يهديهم للإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «ما ترى يا بن الخطاب؟»

---

(١) المغازي للواقدي، محمد بن عمر بن واقد، (١/ ١٩١).

(٢) محمد رسول الله، محمد الصادق عرجون، (٣/ ٤٧٤).

قلت: لا. والله يا رسول الله، ما أرى الذي رأى أبو بكر. ولكني أرى أن تمكنّا فنضرب أعناقهم. فتمكن عليّاً من عقيل فيضرب عنقه، وتمكنّي من فلان (نسيباً لعمر) فأضرب عنقه. فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها. فهوي رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت(١).

الرأي الثالث: أن يُقتلوا حرقاً وهذا رأي عبد الله بن رواحة رضي الله عنه، فقد قال لرسول الله ﷺ: أنت في واد كثير الحطب، فأضرم الوادي عليهم ناراً، ثم ألقهم فيه(٢).

بعد أن استمع النبي ﷺ إلى ما قال أبو بكر وعمر وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم. ورأى أن أكثرية الناس مالت إلى رأي أبي بكر رضي الله عنه قال: "إن الله ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللبن، وإن الله ليشد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم قال: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٣). ومثلك يا أبا بكر كمثل عيسى قال: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(٤). وإن مثلك يا عمر كمثل نوح قال: ﴿رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً﴾(٥). وإن مثلك يا عمر كمثل موسى قال: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾(٦). ثم قال رسول الله ﷺ: أنتم عالة فلا يبقين أحد إلا بفداء أو بضربة عنق(٧).

كانت نتيجة القرار الذي اتخذه النبي ﷺ، أن عاتب الله عز وجل رسوله على أخذ الفداء من أسرى بدر وكان الأولى إلا يأخذوا الفداء ويقتلوا الأسرى. قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * لَوْلا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(٨). وبكى رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية هو وأبو بكر رضي الله عنه فمر بهما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي، الحديث رقم ١٧٦٣، (٦/٣٢٨).
(٢) السيرة النبوية لابن كثير، (٢/٤٥٩).
(٣) سورة إبراهيم / من الآية ٣٦.
(٤) سورة المائدة / الآية ١١٨.
(٥) سورة نوح / من الآية ٢٦.
(٦) سورة يونس / من الآية ٨٨.
(٧) السيرة النبوية لابن كثير، (٢/٤٥٩).
(٨) سورة الأنفال / الآيتان ٦٧ – ٦٨.

وصاحبك، فإن وجدت بكاءً بكيت، وإن لم أجد بكاءً تباكيت لبكائكما. فقال رسول الله ﷺ: «أبكي للذي عرض عليَّ أصحابك من أخذهم الفداء. لقد عُرض عليَّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة» (شجرة قريبة من نبي الله ﷺ)[١].

نلاحظ مما سبق تأكيد الإسلام من جديد أهميةَ الشورى بين المسلمين، وأنها مبدأ عمل قيادي رئيس لم يهمله الرسول ﷺ في جميع الأمور التي لا وحي فيها. كما تؤكد هذه الواقعة جوازَ الاجتهاد من الرسول ﷺ، وهو في الوقت ذاته لا يُقَرُّ على خطأ، فإن سكت عن اجتهاده كان وحياً، وإن كان خطأ نبه إليه الشارع الحكيم كما جاء في تصحيح اجتهاد النبي ﷺ في الأسرى في بدر وقد عاتبه الله على ذلك، وقرر إن الإثخان في القتل أولى من الفدية. وسوف نتوسع في الدروس والعبر المستفادة من هذه الواقعة في القسم الثاني من المبحث الرابع بعونه تعالى.

١٨- الرسول القائد ﷺ بين الرحمة والحزم النبوي:

يصور هذا الموقف أحد أسرى المشركين وهو أبو عزة بن عبد الله الجمحي، وهو يقول لرسول الله ﷺ: يا رسول الله لقد عرفتَ مالي من مال، وإني لذو حاجة وذو عيال فامنن علي، فمنّ عليه رسول الله ﷺ وأخذ عليه أن لا يُظاهر عليه أحداً، فقال أبو عزة أبيات من الشعر يمدح رسول الله ﷺ فيها. قال ابن كثير: ثم إن أبا عزة هذا نقض ما كان عاهد الرسول ﷺ عليه، وأثّر المشركون عليه فرجع إليهم، فلمّا كان يوم أحد أُسر أيضاً، فسأل من النبي ﷺ أن يَمُن عليه أيضاً فقال النبي ﷺ: «لا أدعك تمسح عارضيك، وتقول خدعت محمداً مرتين» ثم أمر فضُربت عنقه[٢].

١٩- النظرة الاستراتيجية للرسول القائد ﷺ:

تتضح النظرة الاستراتيجية للنبي ﷺ في كيفية تعامله مع سهيل بن عمرو الذي كان معروفاً في خطبه ضد الإسلام. عن ابن إسحاق قال: حدثني محمد بن عمرو، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال لرسول الله ﷺ، بحق سهيل بن عمرو الذي كان قد وقع أسيراً بيد المسلمين في غزوة بدر ... قال: دعني أنزع ثنية سهيل بن عمرو، ويدلع لسانه[٣] فلا يقوم عليك خطيباً في موطن آخر. فقال رسول الله

(١) أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي، الحديث رقم ١٧٦٣، (٦/٣٢٨-٣٢٩).

(٢) محمد رسول الله، محمد الصادق عرجون، (٣/٤٧٤).

(٣) يدلع لسانه: يخرجه. قيل: دلع الرجل لسانه، يدلعه دلعاً فاندلع. وأدلعه: أخرجه. واندلع خرج من الفم واسترخى. ينظر: لسان العرب، (٣/٣٩٥).

ﷺ: «لا أمثِّل به فيمثل الله بي وإن كنت نبياً»(١). ثم قال رسول الله ﷺ لعمر رضي الله عنه: «إنه عسى أن يقوم مقاماً لا تذمه»(٢).

ودارت الأيام، وجاءت اللحظة التي توقعها نبي الله ﷺ ... قال ابن كثير: أما المقام الذي قامه سهيل، فهو حين مات رسول الله ﷺ، وارتد العرب، وعمّ النفاق في المدينة وغيرها، فقام بمكة، وخطب بالناس وثبتهم على الدين الحنيف. فقد قال في ذلك: يا معشر قريش، لا تكونوا آخر الناس إسلاماً، وأولهم ردة، من رابنا ضربنا عنقه(٣).

٢٠- سمو الرسول القائد ﷺ في نظرته للعلم والمعرفة:

قال ابن عباس: كان ناس من الأسارى يوم بدر ليس لهم فداء، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلّموا أولاد الأنصار الكتابة، وبذلك شرع الأسرى يعلمون غلمان المدينة القراءة والكتابة، وكل من يعلم عشرة من الغلمان يفدي نفسه(٤). وقبول النبي ﷺ تعليم القراءة والكتابة بدل الفداء في ذلك الوقت الذي كانوا فيه بأشد الحاجة إلى المال، يرينا سمو الإسلام في نظرته إلى العلم والمعرفة، وإزالة الأميّة، وليس هذا بعجيب من دين كان أول ما نزل من كتابه الكريم: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ**﴾(٥). وبهذا العمل الجليل يعتبر الرسول الكريم ﷺ أول من وضع حجر الأساس في إزالة الأميّة، وإشاعة نور المعرفة، وأن السبق في هذا للإسلام.

٢١- اختلاف المسلمين في الغنائم ورد حكمها إلى الله ورسوله ﷺ(٦):

روى أبو داود في سننه بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر: «من فعل كذا وكذا فله من النفل كذا وكذا، فقال: فتقدم الفتيان ولزم المشيخة الرايات فلم يبرحوها، فلما فتح الله عليهم قالت المشيخة: كنا ردءاً لكم لو انهزمتم لفئتم إلينا، فلا تذهبوا بالمغنم ونبقى، فأبى الفتيان وقالوا: جعله رسول الله ﷺ لنا. فأنزل الله: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ**

---

(١) قال ابن كثير: حديث مرسل بل معضل. ينظر: السيرة النبوية: عرض وقائع وتحليل أحداث، علي محمد محمد الصلاّبي، (٢/ ٧٤).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام، (٢/ ٢٩٣).

(٣) التاريخ الإسلامي: مواقف وعبر، عبد العزيز الحميدي، (٤/ ١٨١).

(٤) التربية القيادية، منير الغضبان، (٣/ ٧٤).

(٥) سورة العلق / الآيتان ١-٢.

(٦) للتوسع في كيفية معالجة موضوع الغنائم... ينظر: غزوات خلّد القرآن الكريم ذكرها، ص: ٦٢-٦٦.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(١) إلى قوله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾(٢)(٣).

وروى أحمد عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قال: خرجنا مع النبي ﷺ فشهدت معه بدراً، فالتقى الناس، فهزم الله تبارك وتعالى العدو، فانطلقت طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون فأكبت طائفة على العسكر يحوونه ويجمعونه، وأحدقت طائفة برسول الله ﷺ، لا يصيب العدو منه غرة، حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض، قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها وجمعناها فليس لأحد فيها نصيب، وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم بأحق بها منا، نحن نفينا عنها العدو وهزمناهم، وقال الذين أحدقوا برسول الله ﷺ: لستم بأحق بها منا، نحن أحدقنا برسول الله ﷺ، وخفنا أن يصيب العدو منه غرة واشتغلنا به، فنزلت الآية الكريمة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(٤). فقسمها رسول الله ﷺ على فواق بين المسلمين، [أي قسمها بسرعة في قدر فواق الناقة، أي ما بين حلبتي الناقة](٥).

روى الإمام أحمد – رحمه الله – بإسناده عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سألت عبادة عن الأنفال فقال: فينا – أصحاب بدر – نزلت حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا، فانتزعه الله من أيدينا، وجعله إلى رسول الله ﷺ، فقسمه رسول الله ﷺ بين المسلمين عن بواء، يقول على سواء(٦).

إن الذي يلفت النظر: أن هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم على علو منزلتهم، وفضل سبقهم وجهادهم قد اختلفوا في أمر هذه الغنائم، فما سر هذا الاختلاف؟ وكيف عالج الإسلام هذه المشكلة؟

إن هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم قد اختلفوا اختلافاً عبَّر عنه عبادة بن الصامت رضي الله عنه بقوله: ساءت فيه أخلاقنا، مع أنهم رضي الله عنهم خير أمة أخرجت للناس مصداقاً لقوله عز وجل:

---

(١) سورة الأنفال / الآية ١.
(٢) سورة الأنفال / الآية ٥.
(٣) سنن أبي داود، (٢ / ٧٠).
(٤) سورة الأنفال / الآية ١.
(٥) الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، (١٤ / ٧٢). وقد رواه الترمذي وقال: هذا حديث صحيح.
(٦) الفتح الرباني، (١٤ / ٧٢). وسنده جيد.

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾(١). وهم خير أمة محمد ﷺ، وخير جيل في تاريخ البشرية كما أخبر بذلك النبي ﷺ: «خير الناس قرني»(٢)، وهم الذين بذلوا أموالهم وأنفسهم بسخاء في سبيل هذا الدين. فالمهاجرون رضي الله عنهم تركوا ديارهم وأراضيهم وأموالهم في مكة وفرّوا بدينهم إلى دار الهجرة لينجوا بالعقيدة. والأنصار رضي الله عنهم هم الذين بذلوا أموالهم لإخوانهم المهاجرين، فشاطروهم في الأموال، وتوارثوا فيما بينهم.

ولعل السر في ذلك أن البلاء في القتال في ذلك الوقت كان يقاس بمقدار ما يحصل عليه المقاتل من الغنائم، فإن عاد بلا غنيمة، فكأنه لم يقاتل ولم يتقدم الصفوف فيقتل ويغنم، وإن عاد وقد حاز غنائم كثيرة، فهذا يعني أنه تقدم الصفوف وقاتل وقتل من أعدائه فغنم. وهكذا فالذي يشهد له بالبلاء في القتال وعدمه ما يحوز من غنائم في المعركة، وكل واحد منهم كان يحرص أن ينال وسام الشرف الرفيع، بتلك الشهادة المعصومة من رسول الله ﷺ، وفي الحقيقة إذا شهد رسول الله ﷺ فقد شهد له الله بذلك، لأن الرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى(٣).

وهذه الشهادة التي كان يحرص عليها كل صحابي شيخاً كان أو شاباً لا تعادلها شهادة في الدنيا، وتعني مكافأة لا تعدلها مكافأة هي النعيم المقيم في دار الخلود. وما دام الأمر كذلك فحق لهم أن يتنافسوا على هذا الشرف - قال تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾(٤) - وطريق ذلك الحصول على الغنيمة(٥).

مما سبق يتضح لنا أن الصحابة رضي الله عنهم اختلفوا حول الغنائم، ومن أحق بها، فالذين أحرزوا قالوا: هي لنا، وغيرهم قالوا: لولا نحن ما جمعتم هذه الأموال. وهنا يأتي مقام التربية القرآنية الصادرة عن رب متصف بأرقى درجات الكمال، لا يضل ولا ينسى، عالم بما يصلح الإنسان في دينه ودنياه وآخرته. إذ جاءت الآية الكريمة المذكورة آنفاً لترد أمر الأنفال لله ولرسوله الكريم ﷺ، وتحض المؤمنين على وجوب تقوى الله عز وجل، وإصلاح ذات البين، والالتزام بطاعة الله ورسوله ﷺ. إلى أن جاء قوله

(١) سورة آل عمران / من الآية ١١٠ .
(٢) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، الحديث رقم١٦٤٦ص٦٨٨ .
(٣) في ظلال السيرة النبوية: غزوة بدر الكبرى، ص: ٨٦ .
(٤) سورة المطففين / من الآية ٢٦ .
(٥) في ظلال السيرة النبوية: غزوة بدر الكبرى، ص: ٨٦ .

تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(١).

كما تظهر القدرة القيادية للرسول ﷺ، بقيامه بتوزيع أربعة أخماس الغنائم على المقاتلين، حتى رضي الناس وارتاحت نفوسهم واطمأنت قلوبهم. ومن عدل النبي ﷺ في تقسيم الغنائم إعطاؤه من هذه الغنيمة من تخلف بأمر رسول الله لمهام أوكلها إليهم، فضرب لهم بسهمهم من الغنيمة وبأجرهم فكانوا كمن حضرها(٢). فكان ﷺ يراعي ظروف الجنود التي تمنعهم من المشاركة في القتال، لأن الله تعالى لم يكلف عباده شيئاً فوق طاقتهم.

* * *

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

(١) سورة الأنفال / الآية ٤١.

(٢) من معين السيرة، ص: ٢١٤.

المبحث الثالث

مواقف ودلالات العلاقة الروحية السامية

بين الرسول القائد ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم

تمهيد:

تعددت وتنوعت دلالات العلاقة الروحية السامية بين النبي ﷺ، وأصحابه رضي الله عنهم في غزوة بدر الكبرى. وصفحات هذا المبحث تتناول هذه المواقف والدلالات، التي ترجع في أصلها إلى المحبة والثقة المتبادلة بين الرسول ﷺ وصحابته، فضلاً على معرفته ﷺ بنفسيات الجنود وقابلياتهم المتباينة.

لقد كان ﷺ يحب أصحابه حبّاً لا مزيد عليه، فإذا سلّم ﷺ عليهم لا يسحب يده حتى يرخي المصافح يده، وكان يلقى الناس بوجه باسم متهلل حقاً، وكان يمقت الغيبة، وكان البادئ دائماً أصحابه بالتحية.

أما ثقة أصحاب الرسول ﷺ به، فقد كانت عظيمة جداً، كما كانت ثقته بأصحابه عظيمة أيضاً. والدليل على ذلك منحه ﷺ الثقة لقواته في غزوة بدر، بينما كانت قوات المشركين ثلاثة أمثال قواته، وفي الوقت نفسه وقوف جميع أفراد الجيش خلفه صفاً واحداً لا يتزعزع.

وبالنسبة إلى معرفة النبي ﷺ بنفسيات وقابليات جنوده، فقد كان ﷺ ملماً إلماماً شديداً بهذا الجانب، لأنه ﷺ ولد بينهم وعاش وترعرع معهم، وكان يعيش كأي واحد منهم، ويشاركهم في السرّاء والضرّاء.

عرف مزايا الجميع، وكلّف كل واحد منهم بواجب يتفق مع قابليته البدنية والعقلية، لذلك استطاع أكثر الصحابة إنجاز مهماتهم بكفاءة وإتقان.

إنه ﷺ لم يحمّل شخصاً فوق ما يطيق، وهذا دليل على معرفته نفسيات وخواص وقابليات أصحابه جميعاً.

ولعلّ أهم ميّزة يمتاز بها الرسول ﷺ على غيره من القادة والرسل، هي أنه كان قديراً على اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب. وكان يعرف النفسيّة البشرية، ويقدّرها حق قدرها، ويعرف كيف يوجهها إلى ما يناسبها.

والمهم في الأمر أنه صلوات الله وسلامه عليه، كان يُذكِّر أصحابه بأفضل ما فيهم من صفات، ويغض النظر عمّا يعانونه من نواقص بشرية، ويأمر أصحابه بأن يتحدثوا عن بعضهم بأفضل ما يتمتعون به من خصال وسجايا ... وبذلك كان ﷺ يبني الرجال ولا يحطم الرجال.

تأسيساً على ذلك تضمنت غزوة بدر المباركة عدة مواقف عكست طبيعة التفاعل السامي بين شخصية الرسول ﷺ وصحابته رضي الله عنهم، نوضحها من خلال الفقرات الآتية:

١- مشاركة النبي ﷺ أصحابه في الصعاب:

روى الحاكم بسنده عن عبد الله، قال: كنّا يوم بدر كل ثلاثة على بعير، قال: وكان علي وأبو لبابة (وفي رواية علي ومرثد بن أبي مرثد) زميلي رسول الله ﷺ، قال: وكان إذا كانت عقبته قلنا: اركب حتى نمشي، فيقول ﷺ: "ما أنتما بأقوى منّي، وما أنا بأغنى عن الأجر منكما"(١).

٢- تأكد الرسول ﷺ من رغبة المسلمين بالقتال:

كان ﷺ بحكم فطنته وحكمته القيادية المتميزة، متيقناً من استحالة النصر في حالة عدم رغبة الجنود بالقتال، أو في حالة اتخاذ قرار الحرب بشكل انفرادي بعيداً عن مشاورة المقاتلين، لذلك تبنى ﷺ مبدأ الشورى في اتخاذ قرار الحرب، لأنه كان يريد أن يتحقق ويتأكد من وقوف المسلمين خلف قيادته صفاً واحداً ومتيناً وثابتاً لا يزعزعه شيء أبداً. ومن جهة أخرى كانت طبيعة علاقته ﷺ بالمسلمين قائمة على المحبة والمودة، وعلى عدم فرض الأوامر عليهم في القضايا الدنيوية التي لا وحي فيها.

٣- أسلوب الحباب بن المنذر في طرح رأيه:

من خلال طريقة عرض الحباب بن المنذر لفكرته على الرسول ﷺ نستطيع أن نلحظ عظمة التربية النبوية التي سرت في أشخاص صحابة رسول الله رضي الله عنهم، إذ قام الحباب بعرض الخطة التي لديه، لكن هذا تم بعد السؤال العظيم الذي قدمه بين يدي الرسول ﷺ :يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل أمنزلاً أنزلكه الله، ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟

إن هذا السؤال ليبين عظمة هذا الجوهر القيادي الفذ الذي يعرف أين يتكلم، ومتى يتكلم بين يدي قائده، فإن كان الوحي هو الذي اختار هذا المنزل، فأحب إليه أن تقطع عنقه من أن يتلفظ بكلمة واحدة. وإن كان الرأي البشري فإن لديه خطة جديدة كاملة باستراتيجية جديدة.

---

(١) المستدرك، (٣/٢٠).

إن هذه النفسية الرفيعة عرفت أصول المشورة، وأصول إبداء الرأي، وأدركت مفهوم السمع والطاعة، ومفهوم المناقشة، ومفهوم عرض الرأي الآخر مع رأي سيد ولد آدم ﷺ.

وتبدو عظمة القيادة النبوية في حُسن استماع الرسول ﷺ للخطة الجديدة، ومن ثَمَّ الموافقة عليها، والإعجاب بها، وتبنيها بشكل عملي في ساحة المعركة، استجابةً للشورى التي أمره الله عز وجل بها.

٤- تسوية سواد بن غَزيّة في الصف:

قال ابن إسحاق: وحدثني حبّان بن واسع بن حبّان عن أشياخ من قومه أن رسول الله ﷺ عدَّل صفوف أصحابه يوم بدر، وفي يده قِدحٌ[١] يعدل به القوم، فمر بسواد بن غزية حليف بني عدي بن النجار وهو مستنتل[٢] من الصف، فطعن في بطنه بالقِدح، وقال: استوِ يا سواد، فقال: يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدني[٣]، قال: فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه، وقال: استقد، قال: فاعتنقه، فقبل بطنه، فقال: ما حملك على هذا يا سواد؟ قال: يا رسول الله، حضر ما ترى، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك، فدعا له رسول الله ﷺ بخير وقاله له[٤].

٥- العدل في توزيع الغنائم، وفي مراعاة الظروف العائلية:

كان رسول الله ﷺ لا يكلف المسلمين فوق طاقتهم، سواء كان ذلك في السلم أم الحرب، وفي غزوة بدر أعفى النبي ﷺ بعض الصحابة لأن ظروفهم الأسرية تتطلب منهم القيام عليها ورعايتها، فقد أعفى عثمان بن عفّان رضي الله عنه من الخروج يوم بدر لأن زوجته رقية كانت مريضة وبحاجة إلى من يرعى شؤونها. وروى البخاري أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أخبر عن سبب تغيب عثمان في غزوة بدر، فقال: ... وأما تغيبه عن بدر، فإنه كانت تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة، فقال له رسول الله ﷺ: «إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه»[٥].

وأمر ﷺ أبا أمامة بالبقاء عند أمه إذ كانت مريضة ومحتاجة إليه، فعن أبي أمامة بن ثعلبة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخبرهم بالخروج إلى بدر وأجمع الخروج معه فقال له خاله أبو بردة بن نيّار: أقم

---

(١) قِدح: القِدح: بالكسر: السهم قبل أن يُنصَّل ويُراش. ينظر: لسان العرب، (٧/٢٥٨).

(٢) مستنتل: استنتل: أي تقدم، واستنتل القوم على الماء إذا تقدموا. ينظر: لسان العرب، (٨/٤٤٧).

(٣) فأقدني: القود: القصاص. وهو قتل النفس بالنفس. وأقدت القاتل بالقتيل أي قتلته به. وإذا أتى إنسان إلى آخر أمراً فانتقم منه بمثلها قيل: استقادها منه. ينظر: لسان العرب، (٧/٥٣٢).

(٤) الخبر في عيون الأثر، (١/٢٥٥)، صحيح السيرة النبوية، ص:٢٣٦.

(٥) صحيح البخاري، الحديث رقم ٣٦٩٩، (٤/٢٤٥).

على أمك يا ابن أختي، فقال له أبو أمامة: بل أنت فاقم على أختك، فذكر ذلك للنبي ﷺ فأمر أبا أمامة بالمقام على أمه وخرج بأبي بردة، فقدم النبي ﷺ المدينة وقد توفيت فصلى عليها(١).

ومن الصحابة الذين كانت لهم مهمات خاصة أو أصيبوا أثناء الطريق فردهم النبي ﷺ(٢):

* أبو لبابة بشير بن عبد المنذر: رده رسول الله ﷺ من الروحاء واستعمله على المدينة.

* عاصم بن عدي: أرسله ﷺ في مهمة لأهل العالية في المدينة.

* الحارث بن حاطب: أرسله ﷺ في مهمة إلى بني عمرو بن عوف.

* الحارث بن الصمّة: وقع في الروحاء فكُسر فرده الرسول ﷺ.

* سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل كان بالشام.

* طلحة بن عبيد الله كان بالشام أيضاً.

* خوّات بن جُبير لم يحضر.

* أبو الصباح بن النعمان أصاب ساقه حجر فرجع.

* سعد أبو مالك تجهز ليخرج فمات.

وكذلك أعطى ﷺ لورثة الشهداء وذويهم نصيبهم من الغنائم، وبذلك كان للإسلام السبق في تكريم الشهداء، ورعاية أبنائهم وأسرهم من قرابة أربعة عشر قرناً(٣).

٦- قضية فداء العباس عم النبي ﷺ:

استأذن بعض الأنصار رسول الله ﷺ فقالوا: ائذن لنا فلنترك لابن أختنا العباس فداءه. فقال: "والله لا تذرون منه درهماً"(٤). أي لا تتركوا للعباس من الفداء شيئاً. وهنا يظهر أدب الأنصار مع رسول الله ﷺ في قولهم للنبي ﷺ، ابن أختنا، لتكون المنّة عليهم في إطلاقه، بخلاف لو قالوا: (عمّك) لكانت المنّة عليه ﷺ. وهذا من قوة الذكاء، وحُسن الأدب في الخطاب، وإنما امتنع النبي ﷺ عن إجابتهم، لئلا يكون في الدين نوع من المحاباة.

* * *

(١) قال في مجمع الزوائد (٢/ ٣١-٣٢): «رواه الطبراني في الكبير، ورجاله ثقات».

(٢) من معين السيرة، ص: ٢١٥.

(٣) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنّة، محمد أبو شهبه، (٢/ ١٧٦).

(٤) أخرجه البخاري، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الحديث رقم ٤٠١٨، (٧/ ٣٢١).

المبحث الرابع

الدروس والعِبر المستفادة من غزوة بدر الكبرى

تمهيد:

كانت مقدمات بدر ووقائعها، وما تمخضت عنه من نتائج ومواقف وأحداث زاخرة بالدروس العظيمة، والعبر الكثيرة، والأحكام الشرعية المستفادة، كانت من أهم المعارك في تاريخ الصراع بين المسلمين الداعين إلى الحق، والمشركين الداعين إلى الباطل.

نزلت في بدر سورة كاملة هي "سورة الأنفال" تلقي أخلد الدروس، وتحيط بمعظم الأحداث والوقائع، وكانت بدر أول معركة بين الإسلام وأهله، والكفر وسدنته، وظلت بدروسها وعبرها أبرز معركة في تاريخ الإسلام يتجدد عطاؤها على تعاقب الأيام وتوالي الدهور.

لذلك ينبغي على الزعماء السياسيين، والقادة العسكريين في جميع الأمصار والأزمان أن يقتدوا بشخصية قائد المسلمين الأول، خاتم الأنبياء والمرسلين "محمد ﷺ"، وذلك من خلال أخذ العظة، وتعلم الدروس من الحروب العديدة والكثيرة التي خاضها، ومن المواقف العصيبة التي مرَّ بها ﷺ في كل سنوات جهاده سواء في مكة أو المدينة.

وحرصاً منّا على عرض الدروس والعبر المستفادة من غزوة بدر المباركة يأتي هذا المبحث الذي تم تقسيمه إلى ثلاثة أقسام كي تتوافق مع موضوعات المباحث الثلاثة السابقة وكما يأتي:

القسم الأول: الدروس والعِبر المستفادة من دلالات المدد الربّاني:

أوضحت آيات الذكر الحكيم – الوارد ذكرها في المبحث الأول من هذا البحث – القدرة الإلهية العظيمة التي ظهرت في غزوة بدر لنصرة المسلمين على المشركين، وقد كان لهذا التدبير الربّاني الكثير من العِبر والدروس التي يجب أن يتفكر بها المسلمون على مرِّ الأزمان. وهذه الدروس هي:

١- قد يسأل سائل ما الحكمة في إمداد المسلمين بالملائكة مع أن واحداً منهم كجبريل عليه السلام قادر بتوفيق الله عز وجل على إبادة الكفار؟

أجاب الأستاذ عبد الكريم زيدان على ذلك فقال: لقد مضت سنة الله بتدافع الحق وأهله مع الباطل وأهله، وأن الغلبة تكون وفقاً لسنن الله في تحقيق الانتصار. فالنصر لا يتم إلا لأهل الحق، ومن ثمرات التمسك بالحق والقيام بمتطلباته أن يحصل أهله على العون والتأييد من الباري عز وجل بأشكال وأنواع متعددة. وهنا يأتي الإمداد بالملائكة الذي هو بعض ثمرات إيمان تلك العصبة المجاهدة، ذلك الإمداد

الذي تحقق به ما يستلزم الغلبة على العدو، ولكن على الرغم من ذلك بقيت الغلبة موقوفة على ما قدمه أولئك المؤمنون من قتال، ومباشرة لأعمال القتال، وتعرضهم للقتل، وصمودهم وثباتهم في الحرب، واستدامة توكلهم على الله، واعتمادهم عليه، وثقتهم به، وهذه معان جعلها الله حسب سننه في الحياة أسباباً للغلبة والنصر، مع الأسباب الأخرى المادية، مثل العُدة والعدد والاستعداد للحرب وتعلم فنونه ... إلخ. ولهذا فإن الإسلام يدعو المسلمين إلى أن يباشروا بأنفسهم إزهاق الباطل وقتال المبطلين، وأن يهيئوا الأسباب المادية والإيمانية للغلبة والانتصار، وبأيديهم إن شاء الله تعالى ينال المبطلون ما يستحقونه من العقاب[١]. قال تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٢].

٢- الأخذ بأسباب النصر واجتناب موانعه يجعل المسلمين أهلاً لمدد السماء. ذلك أن نزول الملائكة عليهم السلام من السماوات العُلى إلى الأرض لنصرة المؤمنين يُعد حدثاً عظيماً.

إنه قوة عظمى، وثبات راسخ للمؤمنين حينما يوقنون بأنهم ليسوا وحدهم في الميدان، وأنهم إذا حققوا أسباب النصر واجتنبوا موانعه فإنهم أهل لمدد السماء، وهذا الشعور يعطيهم جرأة في مقابلة الأعداء وفي محاربتهم، خاصةً أن التكافؤ المادي بين الجيشين مفقود، لأن جيش الكفار كبير العدد، قوي الإعداد، وجيش المؤمنين قليل العدد، وإمكانات عُدَّته بسيطة. وقد رافق الشعور بمدد الله المؤمنين في كل الحروب التي خاضوها في العهد النبوي، وفي عهد الخلفاء الراشدين، كما رافق بعض المؤمنين بعد ذلك، فكان عاملاً قوياً في انتصاراتهم المتكررة الحاسمة مع أعدائهم[٣].

وهو في الوقت نفسه عامل قوي في تحطيم معنوية الكافرين وزعزعة يقينهم، وذلك حينما يشيع في صفوفهم احتمال تكرار نزول الملائكة الذين تمت رؤيتهم عياناً من قبل بعضهم. إذ إنهم مهما قدروا قوة المسلمين وعددهم وعتادهم فإنه سيبقى في وجدانهم رعب مزلزل من احتمال مشاركة قوى غير منظورة في محاربتهم، لا يعلمون عددها ولا يُقدِّرون مدى قوتها.

٣- يرشدنا القرآن الكريم إلى أن الصبر على المحن والشدائد، والصلابة في مواجهتها. وتقوى الله وخشيته، والالتزام بأوامره، واجتناب نواهيه ... كل هذه الأمور تعد سبباً لنصرة الله لعباده الذين

---

(١) ينظر: المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، (٢/ ١٣١، ١٣٢).

(٢) سورة التوبة / الآيتان ١٤-١٥.

(٣) التاريخ الإسلامي مواقف وعبر، (٤/ ١٤٥).

خلقهم كي يعمروا الأرض بالخير ويدافعوا عن الحق ضد الباطل. مصداقاً لقوله الكريم: ﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ﴾(١).

يظهر من ذلك أن النصر بيد الله ومن عنده، ولكن يناله المتقون الذين أخلصوا دينهم لله، وتوكلوا حق التوكل عليه عز وجل، الذين قال عنهم الله: ﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ﴾(٢). فلا يعوِّلون في تحقيق النصر إلا على البر والتقوى، فإذا عُصي الله ورسوله ولو من فئة قليلة من المقاتلين نزع الله النصر من بين أيديهم عقوبة لهم، وتصحيحاً لطريقهم وإصلاحاً لأخطائهم، وتخليصاً لقلوبهم من شوائب الدنيا، ووساوس النفوس، فلا تكون الهزيمة بذلك خسارة معركة فحسب، بل تكون وسيلة تطهير وتزكية للنفوس وتمحيص للقلوب، وشحذ للعزائم، ورغبة فيما عند الله وإيثار للآجلة على العاجلة، والباقية على الفانية، وهذا ما وقع في معركة أحد .. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾(٣).

٤- يحرص السياق القرآني في أكثر من موضع على رد أمر نصر المسلمين إلى الله، كي لا يعلق في تصور المسلم ما يشوب هذه القاعدة الأصيلة: قاعدة رد الأمر جملةً إلى مشيئة الله الطليقة، وإرادته الفاعلة، وقدره المباشر. وتنحية الأسباب والوسائل عن أن تكون هي الفاعلة، وإنما هي أداة تحركها المشيئة، وتحقق بها ما تريده(٤).

وقد حرص القرآن الكريم على تقرير هذه القاعدة في التصور الإسلامي، وعلى تنقيتها من كل شائبة، وعلى تنحية الأسباب الظاهرة والوسائل والأدوات عن أن تكون هي الفاعلة؛ لتبقى الصلة المباشرة بين العبد والرب، بين قلب المؤمن وقدر الله بلا حواجز ولا عوائق ولا وسائل ولا وسائط كما هي في عالم الحقيقة. وبمثل هذه التوجيهات المتعددة في القرآن الكريم، المؤكدة بشتى أساليب التوكيد، استقرت هذه الحقيقة في أخلاد المسلمين، على نحو بديع، وهادئ، وعميق، ومستنير(٥).

---

(١) سورة آل عمران / من الآية ١٢٥ .
(٢) سورة النساء / من الآية ٧٤ .
(٣) سورة آل عمران / الآية ١٥٢ .
(٤) ينظر: في ظلال القرآن، (١ / ٤٧٠).
(٥) المصدر السابق.

٥- كان دعاء النبي ﷺ قبل المعركة، ومناشدته ربه تحقيق النصر للمؤمنين مَعْلَماً على طريق الجهاد في سبيل الله، ودليلاً على أن النصر لا يكون إلا بدوام الصلة بالله تعالى، والتضرع إليه والإلحاح في الدعاء، وعدم الاتكال على القوة المادية مهما عظمت، أو اليأس من النصر مهما تضاءلت، والثقة بأن الله آخذ على نفسه العهد بنصر المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(١)، وأن النصر بيد الله يؤتيه من يشاء من عباده، وأن خرق الأسباب، وحصول الكرامات، ونزول الملائكة للتثبيت والتأييد أمور ممكنة الحدوث في ميادين الجهاد في سبيل الله .. ما دام المجاهدون صادقين مع الله، آخذين بالأسباب المتاحة، باذلين كل ما في وسعهم، عاملين لإعلاء كلمته، ونصر دينه، وتحكيم شرعه. وهذا سر انتصارات المسلمين الباهرة في حروبهم مع الفرس والروم ومع المغول والصليبيين والوثنيين .. تلك الحروب التي أذهلت العقول، وحيّرت الزعماء والقادة وأرباب الحكم والفلاسفة في القديم والحديث.

إن الالتجاء إلى الله، والتذلل إليه، وطلب المعونة منه تعد من الأمور الأساسية في تحقق النصر، فهذا الالتجاء والتذلل يزيد إيمان المؤمن وثقته بربه، ويربط قلبه به، ويفيض عليه الإحساس بالقوة المستمدة من قوة الله التي لا تقهر. وهذا ما فعله النبي ﷺ في تضرعه والتجائه لربه. ويجب أن يبقى مشهده ﷺ، وقد سقط رداؤه عن كتفيه وهو مادٌ يديه يستغيث بالله.. يجب أن يبقى حاضراً في قلب كل قائد أو حاكم أو زعيم، محاولاً وساعياً نحو الاقتداء بخاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ في مثل هذه الساعات العصيبة، وفي مثل هذه المواطن.

وباختصار شديد يمكن القول: إن الإيمان الصادق، والحقيقي إذا وقر في القلب فإنه يصبح مدعاةً للتثبيت من عند الواحد الأحد.

٦- استجاب الله تعالى للمسلمين وهم يستغيثون، وأنبأهم أنه ممدهم بألف من الملائكة مردفين .. قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾(٢). ومع عظمة هذا الأمر ودلالته على قيمة هذه العصبة وقيمة هذا الدين في ميزان الله، إلا أن الله سبحانه لا يدع المسلمين يفهمون أن هناك سبباً يُنشئ نتيجة، إنما يرد الأمر كله إليه - سبحانه - تصحيحاً لعقيدة المسلم وتصوره. فهذه الاستجابة، وهذا المدد، وهذا الإخبار به ... كل ذلك لم يكن إلا بشرى،

(١) سورة الروم / من الآية ٤٧ .

(٢) سورة الأنفال / الآية ٩ .

ولتطمئن به القلوب. أما النصر فلم يكن إلا من عند الله. قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(١).

حَسْبُ العصبة المؤمنة هنا أن تشعر أن جند الله معها لتطمئن قلوبها وتثبت في المعركة. ثم يجيء النصر من عند الله وحده. حيث لا يملك النصر غيره. وهو «عَزِيز» قادر وغالب على أمره. وهو «حَكِيمٌ» يحل كل أمر محله... فهذه هي الحقيقة الاعتقادية التي يقررها السياق القرآني، حتى لا يتعلق قلب المسلم بسبب من الأسباب أصلاً.

٧- يستفاد من قول الباري: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾(٢). أن الله تعالى مُطلع، وعالم، وعارف بما في قلوب جميع الناس، فعندما يكون الإيمان راسخاً في الفؤاد رسوخ الجبل في الأرض، فإن ذلك يكون مدعاة للأمن، والأمان، والسلام من المولى عز وجل.

٨- يستفاد من قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾(٣). أن الرسول ﷺ أخذ بالأسباب المادية والمعنوية وتوكل على الله، فكان النصر والتأييد منه سبحانه، فقد اجتمع في بدر الأخذ بالأسباب بالقدر الممكن مع التوفيق الربّاني في تهيئة جميع أسباب النصر متعاونة متكافئة مع التأييدات الربانية الخارقة والغيبية، ففي عالم الأسباب تشكّل دراسة الأرض والطقس، ووجود القيادة والثقة بها، والروح المعنوية لبنات أساسية في صحة القرار العسكري، ولقد كانت الأرض لصالح المسلمين، وكان الطقس مناسباً للمعركة، والقيادة الرفيعة موجودة، والثقة بها كبيرة، والروح المعنوية مرتفعة، وبعض هذه المعاني كان من الله بشكل مباشر وتوفيقه، وبعضها كان من فعل الرسول ﷺ آخذاً بالأسباب المطلوبة، فتضافر الأخذ بالأسباب مع توفيق الله، وزيد على ذلك التأييدات الغيبية والخارقة فكان ما كان، وذلك أنموذج على ما يُعطاه المسلمون بفضل الله إذا ما صلُحت النيات عند الجند والقادة، ووجدت الاستقامة على أمر الله، وأخذ المسلمون بالأسباب.

القسم الثاني: الدروس والعبر المستفادة من دلالات القيادة النبوية الحكيمة للرسول ﷺ:

زخرت غزوة بدر بالكثير من المواقف التي عكست بشكل دقيق دلالات القيادة النبوية الحكيمة للرسول ﷺ، والتزامه ﷺ بتطبيق مبدأ الأخذ بالأسباب، وقد تم إيضاح وتحليل هذه الدلالات على

(١) سورة الأنفال / الآية ١٠.
(٢) سورة الأنفال / من الآية ٤٣.
(٣) سورة الأنفال / من الآية ١٧.

صفحات المبحث الثاني من هذا البحث. **أما الدروس والعِبر المستفادة من هذه الدلالات فسيتم إيضاحها من خلال النقاط الآتية:**

١ – أهمية معرفة أحوال العدو، وتتبع أخباره، واستنتاج أحواله واستعداداته. فقد سأل ﷺ عن منزل قريش، وعددها، وزعمائها، وأبطالها، وأرسل العيون لذلك، وسأل من لم يكن على علم بما يدور ليكون أقرب إلى الصواب وأبعد عن الشبهة، وقام بنفسه ومعه صاحبه أبو بكر رضي الله عنه ببعض هذه المهام ليكون ذلك درساً لكل قائد عسكري، كي لا يكون اعتماده كله على عيونه وجواسيسه .. ولأن نظر القائد أبعد من نظر من دونه، وحرصه أشد من حرص غيره، وليكون كل جندي عيناً على عدوه يعرف كل ما يستطيع معرفته عنه، ويواصل أخباره، ويكشف تحركاته ومؤامراته.

ومن الجدير بالذكر أن النبي ﷺ تحلى بصفة الكتمان في عامة غزواته، وقد أرشد القرآن الكريم المسلمين إلى أهمية هذا المبدأ. قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾[١]. وفي غزوة بدر ظهر هذا الخُلق الكريم للرسول ﷺ من خلال ما يأتي[٢]:

* سؤاله ﷺ الشيخ الذي لقيه في بدر عن محمد وجيشه، وعن قريش وجيشها.

* تورية الرسول ﷺ في إجابته على سؤال الشيخ: ممن أنتما؟ بقوله ﷺ: "نحن من ماء". وهو جواب يقتضيه المقام، فقد أراد به الرسول ﷺ كتمان أخبار جيش المسلمين عن قريش. وقد صدق ﷺ بأنه "من ماء"، مصداقاً لما جاء في محكم التنزيل: ﴿ **أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ** ﴾[٣].

* وفي انصرافه فور استجوابه كتمان – أيضاً – وهو دليل على ما يتمتع به رسول الله ﷺ من الحكمة، فلو أنه أجاب هذا الشيخ ثم وقف عنده لكان هذا سبباً في طلب الشيخ بيان المقصود من قوله ﷺ: "من ماء".

بذلك نلحظ أن التربية الأمنية في المنهاج النبوي مستمرة منذ الفترة السرية، والجهرية بمكة، ولم تنقطع مع بناء الدولة وأصبحت تنمو مع تطورها وخصوصاً في غزوات الرسول ﷺ. الأمر الذي يعكس

---

(١) سورة النساء / الآية ٨٣.

(٢) ينظر: السيرة النبوية: عرض وقائع وتحليل أحداث، علي محمد محمد الصلابي، (٢/ ١١).

(٣) سورة المرسلات / الآية ٢٠.

عناية كبيرة من لدن النبي ﷺ بفن التحقيق مع الآخرين، وتلقط الأخبار منهم بعيداً عن إثارة أي نوع من الشكوك التي قد تؤثر سلباً على الأهداف المبتغى الوصول إليها من وراء التحقيق. وهذا ما يتضح في عصرنا الحاضر من خلال أساليب عمل أجهزة الاستخبارات العسكرية التي تسعى دائماً إلى دعم صنوف الجيش المختلفة بشتى أنواع الأخبار والمعلومات والبيانات والإحصائيات اللازمة لوضع خطط عسكرية متماسكة تؤدي هدفها المتمثل في تكبيد العدو أكبر خسارة ممكنة، مما يجعل الطريق ميسرة لتحقيق النصر النهائي بإذن الله عز وجل.

وفي مجال الحديث عن أساليب جمع المعلومات، وكيفية نقل الأخبار يجدر بالمسلمين أن ينتفعوا من أسلوب أبي سفيان في جمع المعلومات، إذ كان قائداً بحق جديراً بأن يذكر له حذره البالغ وفطنته الكبيرة في تتبع تحركات جيش المسلمين وتحسس أخبارهم بنفسه. إذ استطاع التعرف إلى تحركات عدوه، حتى خبر السرية الاستطلاعية عن طريق غذاء دوابها.

يستفاد مما تقدم أنه ينبغي على القائد أن يخفي عن عدوه كل شيء يمكن أن يستفيد منه في استخلاص المعلومات، وقد يبدو أحياناً هذا الشيء تافهاً، إلا أنه ينبغي إلا يتهاون فيه. ففي العصر الحديث يستطيع العدو أن يعرف الكثير عن عدوه إذا علم كمية الغذاء اليومي له، ويستطيع أن يستفيد إذا عرف ما تستهلكه سيارات الجيش من وقود، فيقدر عددها ونوعها أحياناً[١].

وقد يخفي الجيش أحياناً خسائره من القتلى، ويغفل عن ناحية قد تبدو للعيان بسيطة وهي نعي القتلى في الجرائد والصحف المحلية، فيستطيع المتتبع لهذه الصحف خلال فترة معينة من الزمن أن يحصي خسائر عدوه عن طريق النعي وهكذا[٢].

ويستفاد من قيام أبي سفيان باختيار ضمضم بن عمرو الغفاري – وإرساله إلى قريش لإخبارهم بتعرض قافلتهم للخطر – أهمية اختيار الرجل المناسب للنهوض بالمهمة المناسبة. إذ إن للناس طاقات عديدة، وكفاءات مختلفة ومتنوعة، علمية أو فنية أو إدارية أو قيادية أو اجتماعية أو حربية أو غيرها، والقائد الناجح هو الذي يعرف طاقات جنوده وكفاءاتهم ثم ينظمها ويوظف كلاً منها في الجهة المناسبة المنتجة، المفيدة للصالح العام[٣].

---

(١) في ظلال السيرة النبوية: غزوة بدر الكبرى، ص: ٣٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق، ص: ٣٤.

لقد أفلح أبو سفيان في اختيار ضمضم ليستغيث بقريش ويحفزها بسرعة للخروج من أجل حماية القافلة. إذ جاءهم بصورة مثيرة جداً، يتأثر بها كل من رآها أو سمع بها. لقد جاءهم يصرخ ببطن الوادي واقفاً على بعيره جدع بعيره[١]، وحول رحله، وشق قميصه، وهو يقول: يا معشر قريش، اللطيمة اللطيمة[٢]، أموالكم مع أبي سفيان، قد عرض لها محمد وأصحابه، لا أرى أن تدركوها، الغوث الغوث[٣].

٢- براعة النبي ﷺ وقدرته على مواجهة الظروف الطارئة، والمفاجآت الصعبة، فقد خرج وندب المسلمين لاعتراض القافلة، فلما جاء النفير وخرجت قريش بخيلها وخيلائها بدأ فاستشار الناس، وأخبرهم أنه ربما لقي حرباً، وتكلم ثلاثة من أكابر الصحابة فأحسنوا.. وكان يريد أن يسمع رأي الأنصار لأنهم بايعوه على أن يمنعوه مما يمنعون أنفسهم وأبناءهم ونساءهم، ولم يكن في البيعة ما يلزمهم بالدفاع عنه خارج بلدهم .. وأدرك سعد بن معاذ سيد الأنصار أن النبي ﷺ يريد أن يسمع رأيهم فقال ما قال وسُرَّ رسول الله ﷺ بما قال سعد، وبما أظهره الأنصار من التعطش للشهادة، والاستعداد للقتال مهما كلفهم من تضحيات، وجاء الوحي يبشر المسلمين بالنصر، فانطلق الرسول ﷺ قائلاً للمجاهدين: سيروا وأبشروا، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين. والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم[٤].. وكانت هذه المقدمات كلها في صالح المسلمين فازدادوا ثقةً بنصر الله، وإيماناً بوعد الله، وعزماً على القتال في سبيل الله حتى إذا كانت ساعة اللقاء أبدوا من ضروب البسالة، وفنون الشجاعة ما قرّت به عين رسول الله ﷺ، وعين الإسلام. فكان يوم الفرقان.. ويوم التقى الجمعان.. وكان النصر العظيم الخالد.

٣- تمكن النبي ﷺ من خلال تطبيقه مبدأ الشورى في أمر محاربة المشركين، وفي الاستماع إلى مشورة الحباب بن المنذر، وفي استشارة المسلمين بشأن الأسرى. تمكن ﷺ من ترسيخ أمر ربّاني ورد في القرآن الكريم من خلال آيتين صريحتين ذكرت فيهما الشورى باعتبارها أمراً واجباً في إحداها، وباعتبارها وصفاً يمتدح فاعلوه المتصفون به في الثانية.

---

(١) الجدعُ: القطع، وقيل: هو القطع البائن في الأنف والأذن والشَّفة واليد ونحوها. لسان العرب، (٢/٥٦).

(٢) اللطيمة: العير التي تحمل المسك وبَزُّ التجار. ينظر: لسان العرب، (٨/٨٣).

(٣) السيرة النبوية لابن كثير، (٢/٣٨٣).

(٤) أخرجه البخاري. ينظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الحديث رقم ٣٩٥٢، (٧-٣٨٧).

ففي الآية الأولى يقول تعالى موجهاً الخطاب للرسول الكريم ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾(١). والنص بهذه الصورة يعد نصاً قاطعاً لا يدع مجالاً للشك في كون الشورى مبدأ أساساً من مبادئ النظام الإسلامي وقيمة عليا يجب على القادة المسلمين أن يتمسكوا بها دائماً وتحت جميع الظروف. أما الآية الثانية فهي قول الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾(٢). ووصف المؤمنين بأن (أمرهم شورى) يفيد أن الشورى من خصائص الإسلام الرئيسة التي يجب أن يتحلى بها القادة المسلمون في تعاملهم مع مرؤوسيهم مبتعدين بذلك عن الاستبداد بآرائهم الأمر الذي لا يرضي الله عز وجل ولا رسوله الكريم ﷺ.

وحينما نأتي للسنة النبوية الشريفة نجدها زاخرة بالأمثلة العملية لاستشارة الرسول الكريم ﷺ لأصحابه. ومن الواجب على القادة المسلمين الإقتداء بشخصية رسول الله ﷺ والاهتداء بهديه امتثالاً لقول الله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾(٣). فإذا كان النبي ﷺ الموحى إليه من ربه، والمؤيد من رب السماوات والأرض، يستشير أصحابه في القتال وغير القتال، وقد أمره ربه سبحانه بذلك، فإن الشورى في حق غيره من الحكام والسياسيين والقادة العسكريين تكون أفرض وأوجب.

ومن هذه السنة العملية لرسول الله ﷺ تستفاد قاعدة عامة تقضي بوجوب عدم قيام القادة بالانفراد في اتخاذ قراراتهم بحجة عدم امتلاك التابعين والمرؤوسين للخبرة والكفاءة اللازمة. فالقائد مهما عظمت إمكاناته واتسعت معارفه لا يمكن أن يتسنى له الإلمام بأبعاد وجزئيات عمله بشكل تام، مما يستدعي استفادة المسؤولين – في كل ما يصدر عنهم من أحكام أو يتخذونه من قرارات أو يحدثونه من أوضاع وتنظيمات – من آراء أهل العلم والخبرة والمعرفة فيما يحقق مصلحة المسلمين. مع الأخذ بعين الاعتبار أن المشورة لا تسقط المسؤولية عن كاهل القائد، إذ إن اتخاذ القرار النهائي من واجب الشخص المسؤول الذي ينبغي عليه تحمل تبعات القرار المتخذ سواء كانت إيجابية أم سلبية.

---

(١) سورة آل عمران / الآية ١٥٩.

(٢) سورة الشورى / الآية ٣٨.

(٣) سورة الأحزاب / الآية ٢١.

وكذلك لا يخفى علينا الدور الكبير والمؤثر الذي يمكن أن تؤديه عملية طلب المشورة من التابعين في تعميق روح الولاء والانتماء في نفوسهم تجاه القضية التي يعملون من أجلها، مما ينعكس إيجابياً على طبيعة العلاقة التي تربطهم بقيادتهم من جهة، وعلى مستوى إنجازهم للمسؤوليات المنوطة بهم من جهة أخرى.

وتحتل الشورى أهمية خاصة في وقت الحروب بالذات، ذلك لأن الحروب تقرر مصير الأمم، فإما إلى العلياء، وإما تحت الغبراء، فنتائج الهزيمة معروفة، فهي مصحوبة بانتهاك الحرمات، وتدنيس المقدسات واحتلال الأوطان. ولأهمية هذه الأمور لا بد أن تشرك الأمة فيها، فهي تقرير مصير بالنسبة لها، ومن حق الأمة أن تشارك في تقرير مصيرها، وصنع تاريخها بنفسها، فالتاريخ لا يصنعه فرد واحد فقط مهما بلغت مكانة هذا الفرد.

مما سبق يتضح لنا أن «الشورى» تعد مبدأً ينبغي الالتزام به من قبل القادة على اختلاف مستوياتهم، وحقاً للتابعين، وطريقاً أمثل للوصول إلى صواب ما يراد اتخاذ قرار بشأنه. مع ضرورة التذكير بأنه لم يعرض أمر يهم جماعة المسلمين في حياة النبي ﷺ إلا وعرضه للشورى بين من حضره من الصحابة، ولم يؤثر عنه قط أنه ﷺ خالف ما انتهى إليه رأي أهل الشورى الحاضرين معه، وذلك في جميع الأمور والقضايا التي لا وحي فيها.

إن الشورى مدرسة تربوية للأمة، تظهر من خلالها شخصيتها، وتحقق ذاتها، وهي سبب من أسباب النصر على أعدائها، ومن هنا حرص رسول الله ﷺ عليها، واقتفى أصحابه رضي الله عنهم سننه من بعده فحققوا النصر على أعدائهم، وأصبحوا سادة الأمم بعد أن كانوا رعاء الشاء والغنم.

ففي أثناء الفتح الإسلامي لأرض فارس طلب قائد جيش الفرس أن يلتقي بالقائد العربي قبل المعركة ليتفاوض معه بشأن حقن الدماء، وبعد أن عرض الفارسي مقالته، قال العربي: أمهلني حتى أستشير القوم، فدهش الفارسي وقال: ألست أمير الجند؟ قال: بلى. قال الفارسي: إننا لا نؤمر علينا من يشاور. قال له العربي: ولهذا نحن نهزمكم دائماً، أما نحن فلا نؤمر علينا من لا يشاور[١].

٤- يستفاد من تبني جيش المسلمين في غزوة بدر بقيادة النبي ﷺ لشعار (أحدُ أحد)... وجوب اتخاذ الجيوش العربية في جميع الأمصار، وعلى مرِّ الأزمان، شعارات توثق الصلة بالله تعالى، وتعبر في

(١) في ظلال السيرة النبوية: غزوة بدر الكبرى: ص: ٣٨.

الوقت ذاته عن الخضوع والتذلل لإرادة الباري عز وجل. مع الأخذ بعين الاعتبار أن أهل بدر من المسلمين الذين نصرهم الله على عدوهم، لم ينصرهم لعظمة شعارهم فحسب. بل للتوافق التام بين عظمة المعنى الكبير الذي حمله شعارهم من جهة، وقوة الإيمان وصدق التوكل الذي وقر في قلوب المحاربين، مع أخذهم بجميع الأسباب المادية التي كانت متاحة في ذلك العصر.

٥- يستفاد من أمر النبي ﷺ بقطع الأجراس من أعناق الإبل ... وجوب وضرورة قيام الجيوش الإسلامية بتوخي الأسباب الجالبة إلى نصرة الله عز وجل في محاربة الأعداء، مع تجنب تلك الأسباب التي من شأنها حجب العناية الإلهية العظيمة عن المسلمين. ويقاس على هذا الأمر بأن على المسلمين الذين يبتغون نصرة الله تعالى، أن ينبذوا جميع المعاصي والذنوب التي تغضب الله، ويستغفروه ويتوبوا إليه عسى أن يأذن سبحانه بالنصر لعباده المتقين على أعداء الدين من المشركين والمنافقين.

٦- يستفاد من رفض الرسول ﷺ الاستعانة بمشرك في محاربة المشركين ... ثقة النبي ﷺ وإيمانه العميق بأن الله عز وجل لا يمكن أن يحقق الغلبة للمسلمين وبينهم مقاتل مشرك. وفي هذه درس عظيم وعبرة كبيرة لقادة الجيوش الإسلامية في جميع العصور والأزمان على أهمية ووجوب انتخاب الجنود المسلمين فحسب في مقاتلة الأعداء، فلا يمكن أن يتحقق النصر وبين المحاربين رجل مشرك بالله ورسوله. وبما أن الاستعانة بالمشركين ضد المشركين لا تجوز بقول رسول الله ﷺ، فمن الثابت والمؤكد بأن الاستعانة بالمشركين ضد المسلمين لا ترضي الله ورسوله الكريم ﷺ.

٧- يستفاد من بناء العريش الأمور الآتية[١]:

* لا بد أن يكون مكان القيادة مشرفاً على أرض المعركة، يتمكن القائد فيه من متابعة المعركة وإدارتها.

* ينبغي أن يكون مقر القيادة آمناً بتوفر الحراسة الكافية فيه.

* ينبغي الاهتمام بحياة القائد، وصونها من التعرض لأي خطر.

* ينبغي أن تكون للقائد قوة احتياطية أخرى تعوض الخسائر التي قد تحدث في المعركة.

يلاحظ من بناء العريش أن المسلمين قد فطنوا منذ أول معركة لهم مع خندق الشرك والمشركين إلى أهمية وجود القائد في المعركة فمنه تصدر الأوامر والتوجيهات، ومنه يكون التنسيق بين جماعات

(١) السيرة النبوية: عرض وقائع وتحليل أحداث، (٢/٢٣-٢٤).

الجند، وهو رمز الجماعة التي يقودها، وغيابه عن ميدان المعركة يسبب ارتباكاً للجيش يؤدي إلى أوخم العواقب. وقد فطن المسلمون إلى هذه الحقيقة حينما جعلوا لرسول الله ﷺ مقراً في مكان مرتفع يشرف منه على الميدان، واهتموا بحراسته والذود عنه حتى لا يصل إليه العدو. ومع هذا فقد نزل ﷺ إلى الميدان يحرض الجند، ويصف الصفوف، بل ويطارد العدو، ويلوذ به جنده، وهو في المقدمة.

٨- يستفاد من استخدام أسلوب (الصفوف) في القتال بأنه يتميز على أسلوب (الكرّ والفر) بأنه يؤمّن ترتيب القوات بالعمق، فتبقى دائماً بيد القائد قوة احتياطية يعالج بها المواقف التي ليست بالحسبان، كأن يصد هجوماً مضاداً للعدو، أو يضرب كميناً لم يتوقعه، أو أن يحمي الأجنحة التي يهددها العدو بفرسانه أو بمشاته، ثم يستثمر الفوز بالاحتياط من الصفوف الخلفية عند الحاجة. وصدق الله العظيم، إذ يقول في محكم التنزيل: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ**﴾(١).

إن تطبيق الرسول ﷺ لأسلوب (الصفوف) في معركة بدر، يُعد عاملاً مهماً من عوامل انتصاره على المشركين، والتاريخ العسكري يحدثنا بأن سر انتصار القادة الكبار كالاسكندر وهانيبال قديماً، ونابليون ومولتكه وروميل ورونشتد حديثاً، هو أنهم طبقوا أساليب جديدة في القتال غير معهودة، أو قاتلوا بأسلحة جديدة ليست موجودة لدى أعدائهم(٢).

يظهر للباحث في السيرة النبوية، أن النبي ﷺ كان يباغت خصومه ببعض الأساليب القتالية الجديدة، وخاصةً تلك التي لم يعهدها العرب من قبل، على نحو ما قام به ﷺ في يوم بدر، وأحد، والخندق، وغيرها.

وقد بيّن ابن خلدون أفضلية الأساليب التي استحدثها النبي ﷺ بقوله: وقتال الزحف أوثق وأشد من قتال الكرّ والفر، وذلك لأن قتال الزحف ترتب فيه الصفوف وتُسوى كما تُسوى القداح، أو صفوف الصلاة، ويمشون بصفوفهم إلى العدو قدماً، فلذلك تكون أثبت عند المصارع وأصدق في القتال وأرهب للعدو، لأنه كالحائط الممتد، والقصر المشيد لا يُطمع في إزالته(٣).

---

(١) سورة الصف / الآية ٤.

(٢) الرسول القائد، ص: ١١٧.

(٣) مقدمة ابن خلدون، ص: ٢٧١.

ومن وجهة النظر العسكرية، فإن هذا الأسلوب يدعو إلى الإعجاب بشخصية النبي ﷺ، وبراعته العسكرية، لأن التعليمات التي كان يصدرها خلال تطبيقه لها، تطابق تماماً الأصول الحديثة في استخدام الأسلحة.

٩- يعد الجانب الإعلامي في المعركة جانباً أساسياً وحيوياً، فالخُطب الحماسية، والحث على النصر، والتذكير بالجنة لمن يسقط شهيداً في ساحة القتال ... كل هذه الأمور تؤدي إلى زرع القوة والشجاعة في القلوب، وعدم الخوف من الأعداء، وعدم خشية الموت خاصةً أنه موت في سبيل الله عز وجل.

من ذلك يتبين لنا أهمية تشجيع المقاتلين وإثارة حماستهم من قبل القيادة، وما يبعثه ذلك من الاستبسال والتنافس على الشهادة في سبيل الله والفوز برضوانه وجنّاته، وقد تجلى ذلك في مواقف كثيرة من رسول الله ﷺ منها قوله ﷺ حين علم بمكان قريش وعددها وقادتها فقال: «هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها»(١). وحين خرج من عريشه فقال: «والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيُقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة»(٢). وحين سُئل عمّا يُضحك الرب من عبده قال ﷺ: «غمسه يده في العدو حاسراً»(٣). وحين رأى الملائكة قادمين لتثبيت المؤمنين قال لأبي بكر: «أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثنايا الغبار»(٤).

وكان للشعر دور بارز في مجال الحرب الإعلامية على المشركين، الأمر الذي كان يحمل النبي ﷺ على تشجيع وتحفيز شعراء المسلمين على القيام بواجبهم في الدفاع عن المسلمين وإخافة الأعداء بشعرهم، فقد كان الشعر يمثل الحملات الإعلامية المؤثرة في دنيا العرب فيرفع أقواماً ويخفض آخرين ويشعل الحروب ويطفئها(٥). مع الأخذ بعين الاعتبار أن بوادر الحرب الإعلامية كانت قد اندلعت منذ الهجرة المباركة، غير أن ظهورها بشكل مكثف بدأ مع حركة السرايا قبيل بدر، لكنها انفجرت انفجاراً ضخماً بعد بدر، لأن قضية التأثير إعلامياً على القبائل المجاورة أصبح هدفاً مهماً من أهداف الفريقين (المسلمين والمشركين)، ويبدو أن القصائد سرعان ما تطير بها الركبان بين المدينة والمنورة ومكة، فيأتي الرد من الطرف الآخر، فعند النصر تكثر أشعار الفريق المنتصر بينما تكثر المراثي عند الفريق الثاني،

---

(١) رواه ابن إسحاق في سيرته. ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، (١/٦١٧).
(٢) السيرة النبوية لابن هشام، (٢/٢٦٧).
(٣) السيرة النبوية لابن هشام، (٢/٢٦٨).
(٤) فتح الباري، شرح الحديث رقم٣٩٩٥، (٧/٣١٣).
(٥) التاريخ الإسلامي: مواقف وعبر، (٤/١٩٩).

وكان الصف الإسلامي يضم شعراء متخصصين أمثال كعب بن مالك، وعبدالله بن رواحة، علماً أن أشدهم تأثيراً على الكفار كان حسان بن ثابت(١).

في هذا المقام يمكن القول: إن الجانب الإعلامي كان له دور بالغ الأهمية في تشجيع المقاتلين المسلمين على الاستبسال في ساحة المعركة، ومن جهة أخرى كان له أثر مهم في بث الرعب في نفوس المشركين الذين كانوا مرعوبين ومهزومين نفسياً ومعنوياً – بشكل مسبق – من المسلمين لعدة أسباب منها رؤيا عاتكة بن عبد المطلب، ورؤيا جهيم بن الصلت، وتقرير عمير بن وهب. وكل هذه الأمور يمكن إدراجها تحت ما يسمى في الوقت الحاضر «الحرب النفسية».

إن الحرب النفسية تعد سلاحاً فتاكاً ضد العدو لا تقل فاعليته عن الأسلحة التقليدية، مع الأخذ بعين الاعتبار أن هدف الحرب النفسية دائماً هو عقل الإنسان وقلبه ونفسه، وليس جسده. أي أنها تتجه نحو معنوياته، لا ممتلكاته، أو عتاده، حيث أن ميدانها هو الشخصية(٢).

أما رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب ... فقد روى ابن إسحاق بسنده عن ابن عباس وعروة ابن الزبير قالا: وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال رؤيا أفزعتها، فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب، فقالت له: يا أخي، والله لقد رأيت الليلة رؤيا لقد أفظعتني(٣) وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة، فاكتم عني ما أحدثك به، قال لها: وما رأيت ؟ قالت: رأيت راكباً أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح، ثم صرخ بأعلى صوته: ألا انفروا يا آل غُدَرَ لمصارعكم في ثلاث، فأرى الناس اجتمعوا إليه، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه، فبينما هم حوله مَثُلَ به(٤) بعيره على ظهر الكعبة، ثم صرخ بمثلها: ألا انفروا يا آل غُدَرَ لمصارعكم في ثلاث، ثم مَثُلَ به بعيره على رأس أبي قُبيس، فصرخَ بمثلها، ثم أخذ صخرةً فأرسلها، فأقبلت تهوي حتى إذا كانت بأسفل الجبل أرفضت(٥) فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلتها منها فِلقة(٦)، قال العباس:

---

(١) السيرة النبوية: عرض وقائع وتحليل أحداث، (٢/٩٩).

(٢) الحرب النفسية ضد الإسلام في عهد الرسول ﷺ في مكة، عبد الوهاب كحيل، ص: ١٠. وللتوسع في مفهوم الحرب النفسية وتفصيلاتها وجزئياتها، ينظر: الحرب النفسية في الوطن العربي، حامد ربيع. الحرب النفسية بيننا وبين العدو الإسرائيلي، أحمد نوفل. الحرب النفسية، صلاح نصر.

(٣) أفظعتني: أخافتني. فَظُع الأمر فهو فظيع. وأفظع الأمر: اشتد وشَنُع وجاوز المقدار. ينظر: لسان العرب، (٧/١٣٠).

(٤) مَثُلَ به: قام منتصباً. ومَثُل بين يديه مثولاً أي انتصب قائماً. ينظر: لسان العرب، (٨/٢٠٢).

(٥) أرفضت: تفرقت وتبددت. يقال: أرفض الدمع إرفاضاً، وترفَّض: سال وتفرَّق وتتابع سيلانه وقطرانه. ينظر: لسان العرب، (٤/١٩٦).

(٦) فلقة: القطعة أو الكسرة من الجَفنة أو من الخبز. ينظر: لسان العرب، (٧/١٦٠).

والله إن هذه لرؤيا، وأنت فاكتميها ولا تذكريها لأحد. ثم خرج العباس فلقي الوليد بن عتبة بن ربيعة، وكان له صديقاً فذكرها له، واستكتمه إياها، فذكرها الوليد لأبيه عتبة، ففشا الحديث بمكة، حتى تحدثت به قريش في أنديتها(١).

وفيما يتعلق برؤيا جُهيم بن الصلت... قال ابن إسحاق: ... وأقبلت قريش، فلما نزلوا الجُحفة، رأى جهيم بن الصلت بن مخرمة بن عبد المطلب بن عبد مناف رؤيا، فقال: إني رأيت فيما يرى النائم، وإني لبين النائم واليقظان إذ نظرت إلى رجل قد أقبل على فرس حتى وقف ومعه بعير له، ثم قال: قُتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو الحكم بن هشام، وأمية بن خلف، وفلان، وفلان، فعدد رجالاً ممن قُتل يوم بدر من أشراف قريش ثم رأيته ضرب في لَبَّةِ(٢) بعيره، ثم أرسله في العسكر، فما بقي خِباء من أخبية العسكر إلا أصابه نضح(٣) من دمه، قال: فبلغت أبا جهل، فقال: وهذا أيضاً نبي آخر من بني عبد المطلب، سيعلم غداً من المقتول إن نحن التقينا(٤).

وبالنسبة إلى تقرير عُمير بن وهب المتعلق بتقدير عدد المسلمين وعدتهم ... قال ابن إسحاق: وحدثني أبي إسحاق بن يسار وغيره من أهل العلم، عن أشياخ من الأنصار قالوا: لما اطمأن القوم (المشركون) بعثوا عمير بن وهب الجمحي، فقالوا: احزر لنا أصحاب محمد. قال: فاستجال بفرسه حول العسكر، ثم رجع إليهم، فقال: ثلاثمائة رجل، يزيدون قليلاً أو ينقصون، ولكن أمهلوني حتى أنظر أللقوم كمين أو مدد، قال: فضرب في الوادي حتى أبعد، فلم ير شيئاً، فرجع إليهم، فقال: ما وجدت شيئاً(٥)، ولكني قد رأيت يا معشر قريش البلايا(٦) تحمل المنايا، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع(٧)، قوم ليس معهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم، والله ما أرى أن يُقتل رجل منهم حتى يقتل رجلاً منكم، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك ؟ فَروْا رأيكم(٨).

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام، (٢/٢٤٤).

(٢) لَبَّة: اللبة: موضع القلادة من الصدر. ينظر: لسان العرب، (٨/١٦).

(٣) نضح: النضح: الرَّشُّ. نضح عليه الماء ينضحه نضحاً إذا ضربه بشيء فأصابه منه رشاش. ينظر: لسان العرب، (٨/٥٨٦).

(٤) السيرة النبوية لابن هشام، (٢/٢٥٧). وورد الخبر أيضاً في: دلائل النبوة، (٣/٣٢، ١٠٥)، وعيون الأثر، (١/٢٥٠).

(٥) الخبر إلى هنا في دلائل النبوة، (٣/١١٢) وفيه زيادة: "وإنما هم أكلة جزور طعام ماكول".

(٦) البلايا: جمع بليَّة، وهي الناقة أو الدابة التي كانت تعقل في الجاهلية، تُشد عند قبر صاحبها لا تُعلف ولا تُسقى حتى تموت، كانوا يقولون إن صاحبها يُحشر عليها. ينظر: لسان العرب، (١/٥١١).

(٧) الموت الناقع: الدائم. ويقال: سم ناقع أي بالغ قاتل، وقد نقعه أي قتله. ينظر: لسان العرب، (٨/٦٧٩).

(٨) السيرة النبوية لابن هشام، (٢/٢٦١). وورد الخبر أيضاً في: دلائل النبوة، (٣/٦٤)، عيون الأثر، (١/٢٥٣).

تأسيساً على ما سبق عرضه يمكن القول بأن رؤيا عاتكة، ورؤيا جهيم بن الصلت، وتقرير عمير بن وهب، كانت لها آثارها الكبيرة في زعزعة صفوف المشركين، وفي النيل من روحهم المعنوية، فدخلوا المعركة وكانوا قد انهزموا داخلياً، الأمر الذي كان له بالغ الأثر في تحقق هزيمتهم على يد المسلمين بقيادة الرسول الكريم ﷺ.

١٠- تتمثل حكمة الرسول ﷺ بالبقاء بعد الانتصار ثلاثة أيام في أرض المعركة، بما يأتي[١]:

* تصفية الموقف بالقضاء على أية حركة يائسة من المشركين يحتمل أن تقوم بها فلول المنهزمين الفارّين هرباً إلى الجبال.

* دفن من استشهد من جند الله مما لا تخلو منه معركة، فقد دفن شهداء المسلمين في أرض المعركة، ولم يُدفن أحدٌ منهم خارج بدر.

* جمع الغنائم وحفظها، وإسناد أمرها إلى من يقوم بهذا الحفظ حتى تؤدى كاملة إلى مستحقيها، وقد أسندت أنفال وغنائم بدر إلى عبد الله بن كعب الأنصاري.

* إعطاء الجيش الظافر فرصة يستريح فيها، بعد الجهد النفسي والبدني المضني الذي بذله أفراده في ميدان المعركة، ويضمد فيها جراح مجروحيه، ويذكر نعم الله عليه فيما أفاء الله عليه من النصر المؤزر الذي لم يكن داني القطوف، سهل المنال. ويتذاكر أفراده وجماعاته ما كان من أحداث ومفاجآت في الموقعة، مما كان له أثر فعّال في استجلاب النصر، وما كان من فلان في شجاعته، وفدائيته، وجرأته على اقتحام المضائق وتفريج الأزمات، والتدبير المحكم الذي أخذ به العدو، وما في ذلك من عبر. واستذكار أوامر القيادة العليا وموقفها في رسم الخطط، ومشاركتها الفعلية في تنفيذها، ليكون من كل ذلك ضياء يمشون في نوره في وقائعهم المستقبلية، ويجعلون منه دعائم لحياتهم في الجهاد الصبور المظفر بالنصر المبين.

* مواراة قتلى الأعداء الذين انفرجت المعركة عن قتلهم، والتعرف إليهم، وعلى مكانتهم في حشودهم، وعلى من بقي منهم حياً مثخناً بجراحه لم يدركه الموت، للإجهاز على من ترى قيادة جيش الإسلام المصلحة في القضاء عليه اتقاء شره في المستقبل.

---

(١) السيرة النبوية: عرض وقائع وتحليل أحداث، (٢/ ٤٢).

١١- يستفاد من أحداث قضية أسرى بدر الكثير من الأمور نذكر منها ما يأتي[١]:

* جواز الاجتهاد من الرسول ﷺ، وهو في الوقت ذاته لا يُقَرُّ على خطأ، فإن سكت عن اجتهاده كان وحياً، وإن كان خطأ نبه إليه الشارع الحكيم كما جاء في تصحيح اجتهاد النبي ﷺ في الأسرى في بدر وقد عاتبه الله عز وجل على ذلك، وقرر أنَّ الإثخان في القتل أولى من الأسر.

والسؤال المهم الذي يبرز هنا هو: إن الله سبحانه وتعالى يعلم أن اجتهاد النبي ﷺ خطأ، فلماذا ترك نبيه ورسوله ﷺ ومعه صحابته رضي الله عنهم يخطئون، وقد كان وحده هو الذي يعلم الصواب؟

إنَّ تَرْكَ محمدٍ ﷺ، وهو الذي يوحى إليه، ثم هو في ذاته أعقل الرجال - إذ كانوا قبل البعثة يهتدون برأيه - يخطئ في رأيه، ثم ينبه إلى الصواب، فيه عبرتان لأولي الأبصار. أولاهما: أنه لا يصح لأحد أن يغتر برأيه، فيحسبه الصواب الذي لا يقبل الخطأ، ويعتقد في نفسه العلم، وفي غيره الجهل. وثانيهما: أنه ليس لأحد أن يستبد في تفكيره الذي يعمل فيه للجماعة، فلا يقول ما قال فرعون: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾[٢].

* حرص النبي ﷺ على أن يشرك غيره في الرأي والمشورة، وعدم الانفراد برأيه في الأمور العامة التي تهم الأمة. ورغبته في الأخذ برأي الأكثرية.

* قد يجتهد المجتهدون، ويختلف المختلفون، ومبعث هذا الاختلاف ليس التشهي والهوى، وإنما توخي الحق وتحقيق المصلحة العامة للمسلمين، وما نزل الدين إلا لتحقيق مصالح العباد. وعندما يجتهد المرء اجتهاداً معيناً، ويظنه اجتهاداً صالحاً يحقق المصلحة العامة، ثم يظهر له خلاف ذلك، فينبغي ألا يصر على هذا الاجتهاد وقد عرف حقيقته، بل عليه أن يعلن حقيقة الأمر، ويندم على ما بدر منه من تصرفات قولية أو فعلية، وأن ينبه الناس إلى ذلك. وهذا ما وجدناه من النبي ﷺ حين علم أن موقفه كان خاطئاً في الأسر وأخذ الفداء في الأسرى قبل أن يثخن في القتال. فندم وبكى، وبكى معه أبو بكر رضي الله عنه أيضاً.

* هناك حكمة بالغة في تقرير الإسلام الإثخان في القتل أثناء القتال، وعدم مفاداة الأسرى إلا بعد إنهاك قوى العدو، ذلك لأن الإثخان يكسر شوكة العدو، ويرغمه على الاستسلام. فالإثخان وسيلة

---

(١) للتوسع في الدروس المستفادة من قضية الأسرى في بدر راجع: في ظلال السيرة النبوية: غزوة بدر الكبرى، ص: ٩٢-١٠١.

(٢) سورة غافر، من الآية ٢٩.

لإنهاء الحرب وقيام السلام، أما الأسر وفداء الأسرى بالمال أو بغيره فلا يضعف العدو كالإثخان، وهو أيضاً يطمع العدو بالاستمرار في قتال المسلمين، وهكذا تدور حروب طويلة، وتسفك فيها دماء كثيرة، وتستنزف من المسلمين جهودهم ودماءهم وأوقاتهم، وقد كان بإمكانهم أن يوفروها لو أنهم أثخنوا في قتل عدوهم من أول وقعة معه، فحطموه ودمروه في سبيل تحقيق السلام الدائم.

* جواز قتل الأسير، فقد أمر النبي ﷺ بقتل أسيرين من أسرى بدر كانا يؤذيانه والمسلمين في مكة هما: النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط.

* جواز مفاداة الأسير بمال، ولقد فادى الرسول ﷺ معظم أسرى بدر بمال، وقد أفدى الأسير بأربعة آلاف درهم.

* جواز مفاداة الأسير بعمل أو جهد يبذله، وهذا ما فعله النبي ﷺ مع بعض أسرى بدر الذين لم يجدوا ما يفدون به أنفسهم أو يفدونهم أقرباؤهم. فقد كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل النبي ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة.

* جواز مفاداة الأسير بأسير من المسلمين، فقد فعل هذا رسول الله ﷺ، إذ كان عمرو ابن أبي سفيان أسيراً من أسرى بدر محبوساً في المدينة ولم يفده أبو سفيان بمال، حتى جاء سعد بن النعمان بن أكال رضي الله عنه إلى مكة معتمراً، فعدا عليه أبو سفيان بن حرب بمكة فحبسه بابنه عمرو. فذهب أقرباء سعد إلى رسول الله ﷺ فأخبروه خبر سعد وما صنع أبو سفيان وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان فيفكوا به صاحبهم، ففعل الرسول ﷺ، فبعثوا به إلى أبي سفيان، فخلى سبيل سعد(١).

* إحسان معاملة الأسرى، فالإسلام قد قرر المعاملة الحسنة للأسير حتى يصدر فيه حكم الإمام، فلا يمنع من الطعام والشراب، ولا يعذب، بل يقدم له ما يحتاج وتحسن معاملته لقوله ﷺ للمسلمين في بدر: «استوصوا بالأسارى خيراً»(٢).

* جواز المن على الأسير، ويؤخذ من حكم النبي ﷺ في أسرى بدر جواز المن عليه وإطلاق سراحه من دون مقابل. فقد منَّ رسول الله ﷺ دون فداء على أبي العاص بن الربيع بعد أن بعثت زينب رضي الله عنها بفدائه، والمطلب بن حنطب بن الحارث المخزومي، وأبو عزة بن عبد الله الجمحي.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام، (١/ ٦٥٠-٦٥١).

(٢) المصدر السابق، (١/ ٦٤٥).

١٢- يستفاد من أمر رسول الله ﷺ بقتل عقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث، بأن إبقاء رؤوس الفتنة، ومجرمي الحرب على قيد الحياة يعد مصدراً من مصادر الخطر الكبيرة والعظيمة على الإسلام، ولا سيما إذا كانت تمر بظروف حرجة وغير مستقرة، كالظروف التي كانت تعيشها الدولة الإسلامية الفتية آنئذٍ. فلو أُطلق سراح هذين المجرمين اللذين تعاليا على الله عز وجل ورسوله الكريم ﷺ، لما تورّعا عن سلوك أي طريق فيه كيد وأذى للإسلام وأهله، فقتلهما في ذلك الظرف يُعد ضرورة تقتضيها المصلحة العامة لدعوة الإسلام الفتيّة.

وبمقتل أبي معيط، والنضر، ينبغي أن يتعلم المسلمون، ونخص بالذكر قادة المسلمين، ينبغي أن يتعلموا أن بعض الطغاة، العتاة، المعادين لا مجال للتساهل معهم، فهم زعماء الشر، وقادة الضلال، فلا هوادة معهم، لأنهم تجاوزوا حد العفو والصفح بأعمالهم الشنيعة، فقد كان هذان الرجلان من شر عباد الله وأكثرهم كفراً، وعناداً، وبغياً، وحسداً، وهجاءً للإسلام وأهله[١].

١٣- يُستفاد من موقف الرسول ﷺ من أبي عزة بن عبد الله الجمحي، أن القائد المسلم ينبغي أن يكون متوازناً بين الرحمة والحزم في تعامله مع أعدائه. فلقد كان النبي ﷺ رحيماً به، وعفا عنه، وأطلق سراحه من دون فداء لما ذكر أبو عزة فقره وما لديه من بنات يعولهن، ولكنه لم يفِ لرسول الله ﷺ بما عاهده عليه من لزوم السلم وعدم إثارة الحرب ضده، فوقع أسيراً في معركة أحد، فكان موقف النبي ﷺ منه الحزم، فأمر بضرب عنقه، كي يكون عبرةً لكل من يعاهد النبي ﷺ، ويفكر في نقض ما عاهد عليه لاحقاً.

١٤- يستفاد من أسلوب تعامل الرسول ﷺ مع سهيل بن عمرو، والمتمثل بعدم السماح لعمر بن الخطاب رضي الله عنه بنزع ثنيته، وكيف أن الأيام دارت فجاء الموقف الذي وقف فيه سهيل يخطب بالناس لنصرة الإسلام ... يستفاد من ذلك بأن القائد ينبغي أن تكون لديه نظرة استراتيجية بعيدة المدى، تمكنه من اتخاذ القرار الصائب، ذي الأثر الإيجابي، سواء كان تحقق هذا الأثر آنياً، أم مستقبلاً كما حدث مع سهيل بن عمرو.

١٥- يستفاد من قضية الغنائم، واختلاف المقاتلين المسلمين بشأنها، وتنافسهم عليها بأسلوب وصفه عبادة بن الصامت رضي الله عنه بقوله: ساءت فيه أخلاقنا[٢]. يستفاد من ذلك بأن الصحابة

---

(١) البداية والنهاية، (٣/٣٠٦).

(٢) ينظر: الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، (١٤/٧٢). وسنده جيد.

رضوان الله عليهم لا يعدون أن يكونوا بشراً من البشر. وهنا يخطئ من ينفي هذا عن الصحابة رضي الله عنهم ظاناً أنه يقدم خدمة للإسلام، محتجاً أن نسبة هذا التنافس الذي تجاوز الحد يتنافى مع إجلالهم وهم أئمة الهدى وأعلام الورى(١).

نعم نقول يخطئ من يظن هذا ويحتج له، ذلك لأن الصحابة رضي الله عنهم وهم خير القرون، وخير أمة أخرجت للناس، إلا أنهم ليسوا معصومين، بل هم يخطئون ويصيبون، ويذنبون ويستغفرون. قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم»(٢).

ثم إن السعي للحصول على غنيمة من العدو ليس محرماً، بل هو مستحب فقد كان الرسول ﷺ يشجع المحاربين على القتال بما ينفله للقاتل. قال رسول الله ﷺ: «من قتل قتيلاً له عليه بينه فله سلبه»(٣).

١٦- يستفاد من مجمل دلالات القيادة النبوية المتميزة، التزام الرسول القائد ﷺ في غزوة بدر الكبرى بتطبيق مبادئ الحرب المعروفة في الوقت الحاضر، ويمكن إجمالها بالنقاط الآتية:

١- جمع المعلومات الاستخباراتية عن العدو بسريّة تامّة.

٢- المحافظة القصوى على الجانب الأمني.

٣- الالتزام بتطبيق مبدأ الشورى في أمر الخروج إلى الحرب وملاقاة العدو، وفي جميع مجريات المعركة.

٤- تخصيص وتهيئة مقر محصّن للقائد العسكري.

٥- رسم خطة حربية دقيقة تتمتع بدرجة عالية من المرونة.

٦- مفاجأة العدو ومباغتته باستخدام أساليب قتالية مستحدثة ومبتكرة.

٧- الاستفادة من الظروف الطبيعية قدر المستطاع.

٨- الاهتمام الشديد بالجانب الإعلامي وتوظيفه بشكل إيجابي ينعكس على مجمل مجريات المعركة.

---

(١) في ظلال السيرة النبوية: غزوة بدر الكبرى، ص: ٨٦.

(٢) مختصر صحيح مسلم للمنذري، الحديث رقم: ١٩٢٢.

(٣) مختصر صحيح مسلم للمنذري، الحديث رقم: ١١٤١.

٩- الاستعانة بمبادئ وأساليب الحرب النفسية بغية زعزعة وقهر الروح القتالية والمعنوية في نفوس مقاتلي العدو.

١٠- تحريض الجنود على القتال وبث روح الحماسة والاندفاع في قلوبهم، بغية تحقيق النصر أو الشهادة في سبيل الله.

١١- المشاركة الفعلية للقائد العسكري في قتال الأعداء.

١٢- البقاء لفترة معينة في أرض المعركة بعد انتهاء القتال، تحسباً لأية مواقف مفاجئة قد تقع لاحقاً، ولأجل إعادة تنظيم الجيش وتهيئته للعودة إلى قواعده.

١٣- معاملة الأسرى برفق وطيبة بما يحفظ كرامتهم.

١٤- إمكانية الإجهاز على بعض الأسرى، أو مفاداتهم تبعاً لمقتضيات المصلحة العامة، التي يحددها القائد العسكري ومستشاريه الأمناء.

١٥- توزيع الغنائم وفق ميزان الحق والعدل.

ومن الجدير ذكره أن الرسول ﷺ التزم بمبادئ الحرب هذه، وأبدع في تطبيقها في الوقت الذي لم تكن معروفة من قبله، وإنما كان تطبيقه لها بما وهبه الله له من نفاذ بصيرة وحُسن قيادة. أما فيما يتعلق بمبادئ الحرب التي اعتنى النبي ﷺ بتطبيقها في مجمل غزواته وليس في غزوة بدر فحسب، فهي[١]:

١- المحافظة على الهدف: العمل على اختيار الهدف بدقة والمحافظة عليه.

٢- أمن العمل: العمل على جمع المعلومات بسرية تامّة.

٣- الحشد: ويعني جمع أكبر قوة ممكنة في مواجهة العدو.

٤- ادخار القوى أو الاقتصاد بالقوى: ويعني حشد مجموع القوات على ألا ينفصل منها سوى ما تتطلبه الحاجة الفعلية للقتال.

٥- التعرض أو المبادأة: ويعني البدء بالهجوم على العدو (أو ما يسمى بالحرب الاستباقية).

٦- المباغتة: وتسمى في حروب اليوم (المفاجأة).

---

(١) للتوسع في مبادئ الحرب لدى الرسول ﷺ، ينظر: فن إدارة المعركة في الحروب الإسلامية، محمد فرج، ص: ١٤٩-١٨٣. العبقرية العسكرية في غزوات الرسول، ص: ٢٣٨-٣٠٠. قيادة الرسول ﷺ السياسية والعسكرية، ص: ١٧٥-١٨٢.

٧- خفة الحركة أو المرونة: وتعني القدرة على الحركة والمناورة والانتقال بصورة صحيحة وسريعة.

٨- السلامة: وتمثل بحماية القوات، وخطوط مواصلاتها وإمدادها، واتخاذ الحيطة اللازمة ضد مباغتتها.

٩- التعاون: ويعني توحيد العمل والتضامن من أجل الوصول إلى الهدف.

١٠- إدامة المعنويات: وذلك عن طريق الاستمرار بالتشجيع على القتال في سبيل الله، والتذكير المستمر بالأجر الكبير يوم الحساب لمن يقاتل العدو مقبلاً غير مدبر (أو ما يسمى بالتوجيه المعنوي).

١١- تأمين الأمور الإدارية: ويشتمل هذا الأمر على تأمين الغذاء، والمياه، وتهيئة من يقوم بمداواة الجرحى وقد كان يتم اصطحاب النساء في ذلك الوقت لغرض القيام بواجبات التطبيب والتمريض.

١٢- استقرار المؤخرات: والمقصود بذلك استتباب الأمن والهدوء وراء جبهات القتال. فالعسكري الذي تشغله أعمال القتال في الجبهة، يجب أن يكون مطمئناً إلى استقرار الأحوال في الداخل، وإلى أنه لن يتلقى ضربة من الخلف، ولن تحدث أعمال شغب أو فوضى أمنية تصيب أهله بأذى.

١٣- المطاردة: وتعني متابعة العدو المنهزم ومحاولة القضاء عليه حتى لا يملك القدرة على العودة إلى الميدان والقتال من جديد.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

أما بالنسبة إلى مبادئ الحرب في العصر الحديث - والتي تفوق عليها الرسول ﷺ - فإن الكتّاب العسكريين، وكبار القادة، يضعون للحرب مبادئ وقواعد مكثفة، يرون ضرورة اتباعها لتحقيق النصر، وهم يختلفون في تعداد هذه المبادئ وتدرج أهميتها.

فالأميركيون عموماً وضعوا عام ١٩٢١ تسعة مبادئ ما زالت تشكل إلى اليوم هيكل مذهبهم العسكري العام مع تعديلات طفيفة، وهي[١]:

١- ملاحقة هدف واحد.

٢- التعرض للعدو.

٣- حشد الوسائط.

(١) الحرب، محمد صفا، ص: ٧٢.

٤- الاقتصاد في القوى.

٥- الحركية.

٦- المفاجأة.

٧- الحيطة.

٨- العمل الموحد.

٩- البساطة.

أما (كلاوزفيتز)[١] فلم يتقيد بعدد دقيق لهذه المبادئ، ولكنه أصرّ على مبادئ خمسة هي[٢]:

١- حشد القوى.

٢- الاحتياط (الاحتفاظ باحتياط يستعمل عند الحاجة).

٣- المبادأة (بدء العدو بالهجوم).

٤- مطاردة العدو (بعد النصر).

٥- مفاجأة العدو.

بينما ذكر الجنرال (فوللر)[٣] المبادئ الآتية[٤]:

١- الحيطة.

٢- مفاجأة العدو.

٣- الحركية.

٤- حشد القوى.

٥- توحيد الجهود.

---

(١) كلاوزفيتز: كاتب عسكري شهير، وضابط من أصل روسي، توفي عام ١٨٣٠ ونشر له بعد وفاته كتاب بعنوان "الوجيز في الحرب" يعد مرجعاً لكثير من نظريات الحرب الحديثة. ينظر: قيادة الرسول ﷺ السياسية والعسكرية، ص: ١٧٣.

(٢) قيادة الرسول ﷺ السياسية والعسكرية، ص: ١٧٣.

(٣) فوللر: جنرال عسكري له عدة مؤلفات عسكرية. ينظر: قيادة الرسول ﷺ السياسية والعسكرية، ص: ١٧٤.

(٤) قيادة الرسول ﷺ السياسية والعسكرية، ص: ١٧٤.

ويركز (ليدل هارت)[١] و(غورديان)[٢] على مبدأين هما[٣]:

١- مفاجأة العدو.

٢- الحركية.

ويرى الروس أن مبادئ الحرب وقوانينها غير ثابتة، ولا يقدمون بها لائحة مقررة موحدة، ولكن يستنتج من مجمل مؤلفات القادة الروس أنهم يعيرون أهمية كبرى للمبادئ الآتية[٤]:

١- استقرار المؤخرات.

٢- المحافظة على معنويات عالية للجنود المقاتلين.

٣- تجهيز الجيش بشكل متكامل.

٤- طاقة التنظيم في أجهزة القيادة.

١٧- تأسيساً على ما ورد في النقطة السابقة من توضيح التزام النبي ﷺ بتطبيق مبادئ الحرب التي عرفها الكتّاب والقادة العسكريون المعاصرون. يمكن القول بأن الرسول القائد ﷺ كانت له شخصيته العسكرية المتميزة، والمتقدمة على عصره. وسنقوم فيما يأتي بذكر بعض ملامح وجوانب هذه الشخصية العظيمة. علماً بأن هذه الملامح مستقاة من مجمل حياة النبي ﷺ العسكرية، وليس من غزوة بدر فحسب[٥]:

١- الصفات الشخصية للرسول القائد ﷺ وتشتمل على: (اللياقة البدنية، بُعد النظر، سرعة اتخاذ القرار الصحيح، قوة الإرادة، الشجاعة الشخصية، رباطة الجأش، المحافظة على السيطرة بعد اختلال توازن المعركة، معرفة خصائص رجاله ورجال عدوه، عدم الاستبداد بالرأي، تحمل المسؤولية).

٢- إعداده الجنود المحاربين: (إكسابهم اللياقة البدنية، تدريبهم على استخدام أدوات الحرب بمهارة، تحقيق أسطورة «الشعب هو الجيش»، الإيمان، المحبة، التحرّق للقتال، العزم والتصميم على المضي في المعركة حتى النصر أو الشهادة).

---

(١) ليدل هارت: كاتب عسكري إنكليزي. ينظر: قيادة الرسول ﷺ السياسية والعسكرية، ص: ١٧٤.

(٢) غورديان: جنرال الماني اشتهر في الحرب العالمية الثانية، وبخاصة في حرب المدرعات. ينظر: قيادة الرسول ﷺ السياسية والعسكرية، ص: ١٧٤.

(٣) قيادة الرسول ﷺ السياسية والعسكرية، ص: ١٧٤.

(٤) الحرب، ص: ٧٤.

(٥) دراسة تحليلية لشخصية الرسول محمد ﷺ من خلال سيرته الشريفة، محمد روّاس قلعه جي، ص:٢٢٥-٢٦٠.

٣- التسليح.

٤- مقدمات القتال وأساليبه، وتتضمن: (الحرب الإعلامية، استبعاد المتخاذلين من صفوف المقاتلين، إظهار قوة الجيش، تحديد الهدف وعدم الانثناء عنه، حرمان العدو من موارده الاقتصادية، عدم تمرير أي اعتداء من دون عقاب، جمع المعلومات عن العدو من حيث نوايا العدو وعدد قواته وموضعه وطرق تحركه وقيادته وتسليحه، اقتصاد المجهود الحربي، التركيز على الجانب الأمني سواء تعلق الأمر بأمن المعلومات أم أمن العمليات، الاستشارة، أمر القتال الواضح والصريح، وحدة القيادة، تفريق قوة العدو، انتهاج أسلوب الهجوم من حيث الهجوم بشكل مبكر ومباغتة العدو وتضليل العدو والهجوم الصاعق والهجوم غير المباشر وقتال الحصون وتفريق قوة العدو أثناء الهجوم، توقع أسوأ الاحتمالات، كلمة التعارف، استثمار الفوز بشكل إيجابي، عدم الاندفاع أكثر من الهدف المحدد، دخول المعركة على اعتبار أن الحرب وسيلة لا غاية).

القسم الثالث: الدروس والعبر المستفادة من دلالات العلاقة الروحية السامية بين الرسول القائد ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم:

اتضح فيما سبق إيراده في المبحث الثالث، أن العلاقة بين الرسول القائد ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم في غزوة بدر الكبرى كانت علاقة روحية سامية، وذُكرت العديد من الدلالات التي تؤكد طبيعة هذه العلاقة. ولابد من وجود العديد من الدروس المستفادة من هذه القضية، الأمر الذي سيتم توضيحه من خلال النقاط الآتية:

١- يستفاد من قول الرسول الكريم ﷺ، لعلي بن أبي طالب، وأبي لبابة (وفي رواية علي ومرثد بن أبي مرثد) ... «ما أنتما بأقوى منّي، وما أنا بأغنى عن الأجر منكما»[١]، يستفاد بأن القائد ينبغي أن لا يتميز عن جنده، بل يعيش معهم حياتهم. فقد كان ﷺ متواضعاً في تعامله مع جنوده، لا يختلف عنهم في ماكله ومشربه. وهذا السلوك كفيل بخلق حالة من الولاء والانتماء العاليين لدى الجنود، إذ سيشعرون بأن قائدهم كأي واحد منهم، فيكون بحق قدوة لهم في جميع تصرفاتهم وسلوكياتهم.

وفي هذا السلوك .. حرص النبي ﷺ على الأجر، وإظهار التواضع، والتقرب إلى الله، والرغبة فيما عنده، وإيثار الآخرة على العاجلة، وتعليم المسلمين ذلك بالقول والعمل، واكتمال الأسوة الحسنة في

(١) المستدرك على الصحيحين، (٣/ ٢٠).

شخصه الكريم، مما لا مثيل له في أحد أبداً .. وإن خير ما يتصف به المؤمن الحرص على الأجر حتى يكون منتهاه إلى الجنة بإذن الله ورحمته.

٢- يستفاد من قيام النبي ﷺ باستشارة أصحابه في أمر محاربة المشركين في بدر... إدراكه ﷺ أن النصر متعلق بعالم الأسباب المادية التي أمرنا الله الأخذ بها، وأوجب ذلك إيجاباً، وأنه لا يتحقق وفق هذه السنّة الإلهية إلا من خلال عوامل كثيرة من أهمها اندفاع المقاتل برغبة ذاتية للقتال من دون إكراه. فلو تصورنا أن الأكثرية الساحقة من الصحابة رضي الله عنهم في بدر كانت لا تريد القتال وأُكرهت عليه إكراهاً، وسيقت إليه سوقاً، وتحت وطأة التهديد، فماذا ستكون النتيجة ؟ إنها بلا شك ليست إيجابية كما لو كانت الأكثرية راغبة في القتال متحمسةً له، راجيةً النصر أو الشهادة[١].

٣- يستفاد من قصة الحباب بن المنذر في كونها تصوِّر لنا مثلاً من حياة الرسول ﷺ مع أصحابه رضي الله عنهم، إذ كان أي فرد من أفراد ذلك المجتمع يدلي برأيه حتى في أخطر القضايا، ولا يكون في شعوره احتمال غضب القائد الأعلى، ثم حصول ما يترتب على ذلك الغضب من تدني سمعة ذلك المشير نتيجة مخالفته رأي القائد، ومن ثم تأخره في الرتبة وتضرره في نفسه وأهله وماله.

إن هذه الحرية التي ربّى عليها رسول الله ﷺ أصحابه مكنت مجتمعهم من الاستفادة من عقول جميع أهل الرأي السديد والمنطق الرشيد، فالقائد فيهم ينجح نجاحاً باهراً وإن كان حديث السن لأنه لم يكن يفكر برأيه المجرد أو يتبع آراء عصبة مهيمنة عليه قد تنظر لمصالحها الخاصة قبل أن تنظر لمصلحة المسلمين العامة، وإنما يفكر بآراء جميع أفراد جنده، وقد يحصل له الرأي السديد من أقلهم سمعة وأبعدهم منزلة عن ذلك القائد، لأنه ليس هناك ما يحول بين أي فرد منهم والوصول إلى قائد جيشه.

٤- يستفاد من قصة سواد بن غُزيّة رضي الله عنه الأمور الآتية[٢]:

* إن الإسلام لا يعرف الفوضى ويشجبها، ويحارب من أهله كل فوضوي، ويحرص على أن يكون أتباعه في غاية الدقة والتنظيم في أمور حياتهم كلها وخاصة في قتال العدو.

* العدل المطلق، فقد أعطى رسول الله ﷺ القود من نفسه.

* حب الجندي لقائده.

---

(١) في ظلال السيرة النبوية: غزوة بدر الكبرى، ص: ٤٠-٤١.

(٢) في ظلال السيرة النبوية: غزوة بدر الكبرى، ص: ٥١.

* تذكر الموت والشهادة.

* جسد رسول الله ﷺ مبارك، ومسّه فيه بركة، ولهذا حرص عليها سواد.

٥- يستفاد من قيام النبي ﷺ بشمول المتخلفين عن غزوة بدر، بنصيبهم من الغنائم، في أن القائد ينبغي عليه مراعاة الظروف الأسريّة الخاصة التي قد يمر بها بعض جنوده أثناء المعركة، والتي تمنعهم من مشاركة إخوانهم في قتال العدو، لأن الله تعالى لا يكلف عباده شيئاً فوق طاقتهم مصداقاً لقوله عز وجل: ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾(١).

إن هذه الأخلاق الرفيعة، ومراعاة شعور الجنود وأحوالهم العائلية تولد قوة ترابط بين القيادة والجنود، وتدخل تحت مفهوم فقه التمكين الذي مارسه الرسول ﷺ في أعلى صوره.

٦- يستفاد من امتناع النبي ﷺ عن إجابة الأنصار عندما استأذنوه في ترك فداء العباس عم الرسول ﷺ، وجوب تعلم المسلمين عدم محاباة ذوي القربى، توخياً لمبدأ العدالة في معاملة الآخرين، ومنعاً لوقوع الظلم الذي حرّمه الله عز وجل على نفسه، وجعله محرماً بين الناس.

* * *

(١) سورة البقرة / الآية ٢٨٦.

الملاحق

ملحق رقم (١)

خارطة توضح الموقع الجغرافي لمدينة بدر

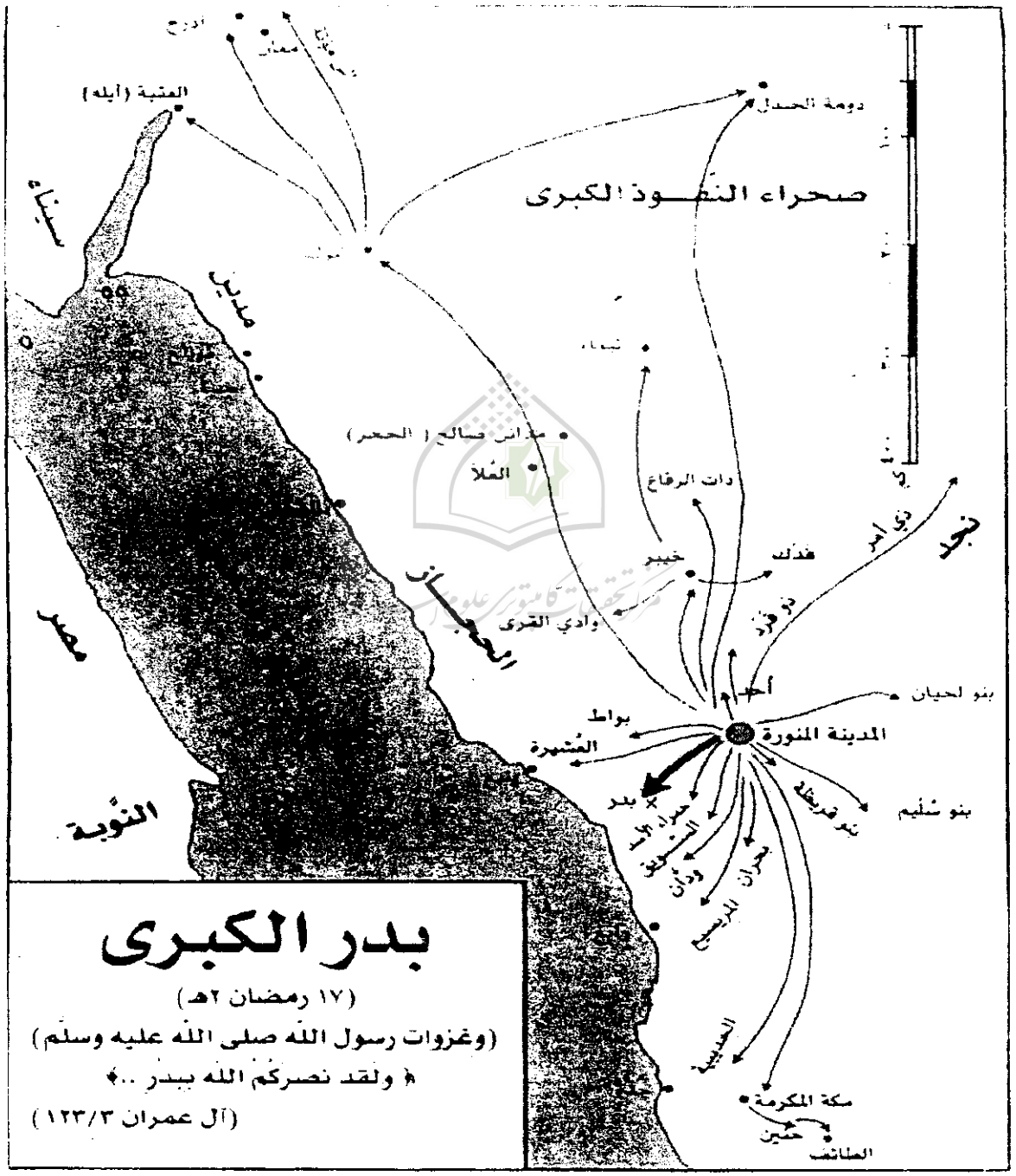

المصدر: أطلس القرآن: أماكن – أقوام – أعلام، شوقي أبو خليل، ص:٢٠٩ .

ملحق رقم (٢)

خارطة تبين مسار جيش المسلمين وجيش المشركين في طريقهما إلى ميدان المعركة

المصدر: بدر الكبرى: المدينة والغزوة، محمد عبده يماني، ص:١١٣ .

ملحق رقم (٣)

رسم توضيحي لمخطط غزوة بدر الكبرى يبين موقع وتنظيم جيش المسلمين وجيش المشركين

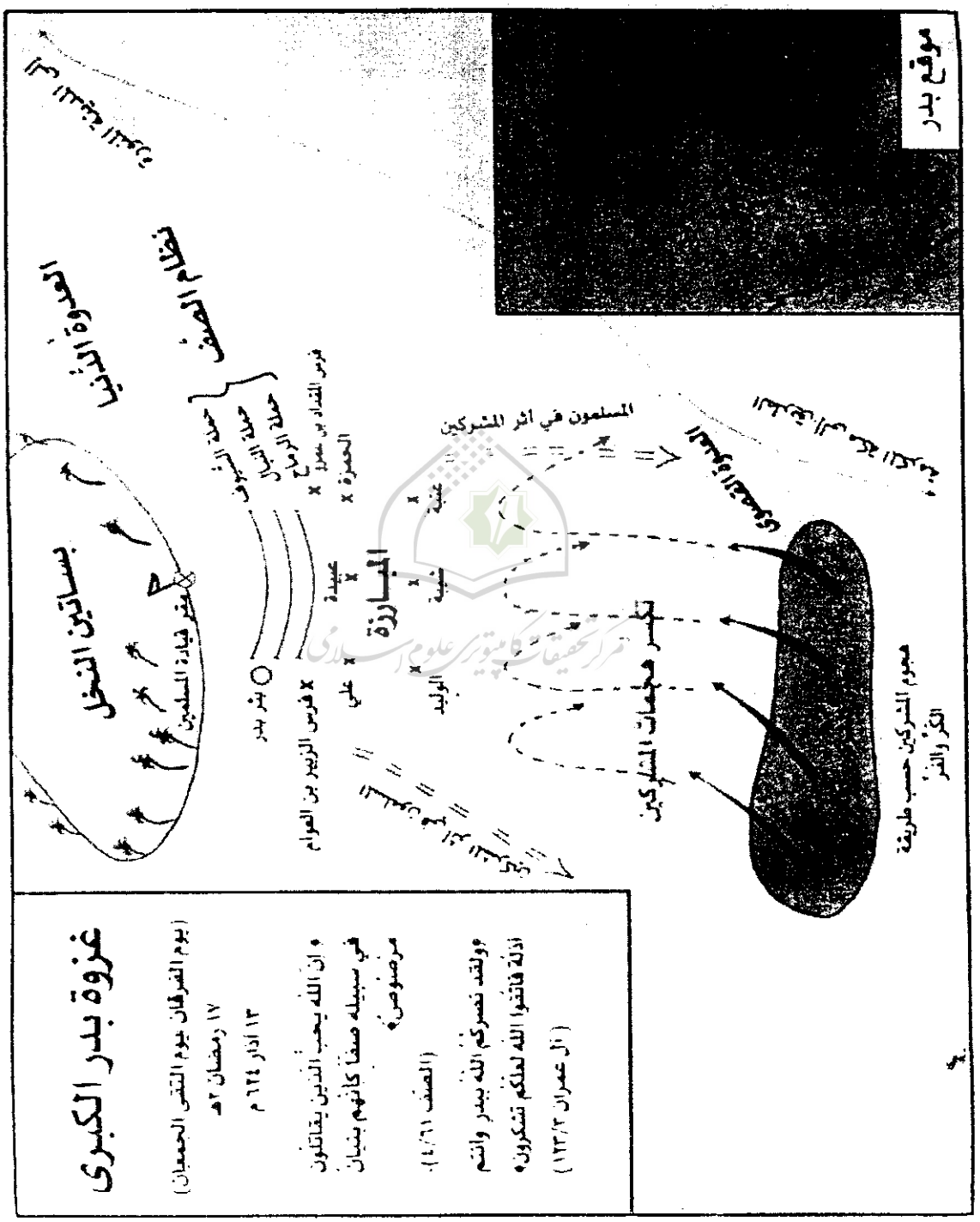

المصدر: أطلس القرآن: أماكن – أقوام – أعلام، شوقي أبو خليل، ص:٢٠٤ .

المصادر والمراجع

- أطلس القرآن: أماكن - أقوام - أعلام، شوقي أبو خليل، ط٢، بيروت - دار الفكر المعاصر، دمشق - دار الفكر، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

- الأحاديث القدسية، لجنة من العلماء، الجزءان ١-٢، ط١، القاهرة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

- البداية والنهاية، أبو الفداء ابن كثير الدمشقي، ط١، (د.م)، دار الريان للتراث، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

- بدر الكبرى: المدينة والغزوة، محمد عبده يماني، ط٢، جدة، دار القبلة للثقافة الإسلامية - دمشق، مؤسسة علوم القرآن، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

- التاريخ الإسلامي مواقف وعبر، عبد العزيز الحميدي، ط١، الإسكندرية، دار الدعوة، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، جمعه محمد فؤاد عبد الباقي، الكويت، المطبعة العصرية، منشورات وزارة الأوقاف الإسلامية، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

- تخريج أحاديث مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، محمد ناصر الدين الألباني، ط١، (د.م)، المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.

- التربية القيادية، منير الغضبان، ط١، المنصورة، دار الوفاء، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

- تفسير الرازي، ط٣، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ت).

- تفسير الزمخشري، (د.م)، دار المعرفة، ١٣٨٦هـ-١٩٦٧م.

- تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ط١، دمشق - بيروت، دار ابن كثير للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

- تفسير القرطبي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٨٤هـ-١٩٦٥م.

- تفسير الآلوسي، إدارة الطباعة المصطفائية بالهند، (د.ت).

- جامع الأصول، لابن الأثير، تحقيق الأرناؤوط، سوريا، مكتبة الحلواني، ١٣٩٢هـ-١٩٧٣.

– الجامع في السيرة النبوية، سميرة الزايد، ط١، (د.م)، المطبعة العلمية، (د.ت).

– جوامع السير لابن حزم، تحقيق إحسان عباس، وناصر الدين الأسد، باكستان، دار إحياء السنّة، ١٣٦٨هـ–١٩٤٨م.

– حديث القرآن عن غزوات الرسول ﷺ، محمد بكر آل عابد، ط١، (د.م)، دار الغرب الإسلامي، (د.ت).

– الحرب، محمد صفا، ط٣، بيروت، دار النفائس، ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م

– الحرب النفسية في الوطن العربي، حامد ربيع، بغداد، دار واسط للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ–١٩٨٩م.

– الحرب النفسية بيننا وبين العدو الإسرائيلي، أحمد نوفل، ط١، عمّان، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ١٤٠٦هـ–١٩٨٦م.

– الحرب النفسية ضد الإسلام في عهد الرسول ﷺ في مكة، عبد الوهاب كحيل، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٦هـ–١٩٨٦م.

– الحرب النفسية، صلاح نصر، ج١، القاهرة، دار القاهرة للطباعة والنشر، ١٩٨٥هـ–١٩٦٦م.

– دراسة تحليلية لشخصية الرسول محمد ﷺ من خلال سيرته الشريفة، محمد روّاس قلعه جي، ط١، بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٨هـ–١٩٨٨ .

– دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، وثق أصوله وخرج حديثه وعلق عليه عبد المعطي قلعجي، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م.

– الرحيق المختوم، المباركفوري، ط١، أبو ظبي، مكتبة الصفاء، ١٤٢٣هـ–٢٠٠٢م.

– الرسول ﷺ القائد، محمود شيت خطّاب، ط٦، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٢هـ–٢٠٠٢م.

– زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، تحقيق الأرناؤوط، ط١، (د.م)، مؤسسة الرسالة، ١٣٩٩هـ– ١٩٧٨م.

– سنن أبي داود، ط١، القاهرة، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٧١هـ–١٩٥٢م.

– السيرة النبوية: عرض وقائع وتحليل أحداث، علي محمد محمد الصلاّبي، الإسكندرية، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

– السيرة النبوية لابن كثير، تحقيق مصطفى عبد الواحد، القاهرة، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

– السيرة النبوية لابن هشام، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، ط٢، القاهرة، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٧٥هـ-١٩٥٥م.

– السيرة النبوية، عابد توفيق الهاشمي، ط٢، صنعاء، مركز عبادي للدراسات والنشر، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

– السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنّة، محمد أبو شهبه، ط٣، دمشق، دار القلم، ١٤١٧هـ.

– صحيح البخاري، ط١، (د.م)، دار الفكر، ١٤١١هـ-١٩٩١م

– صحيح السيرة النبوية، إبراهيم العلي، ط٣، (د.م)، دار النفائس، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

– صحيح مسلم بشرح النووي، تحقيق وفهرسة عصام الصبابطي، وحازم محمد، وعماد عامر، ط١، المجلد ٦، (د.م)، دار أبي حيان، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

– الطبقات الكبرى لابن سعد، بيروت، دار صادر، ١٣٨٨هـ-١٩٦٧م.

– العبقرية العسكرية في غزوات الرسول، محمد فرج، (د.م)، دار الفكر العربي، ١٣٧٧هـ.

– عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ابن سيد الناس، (د.م)، دار الفكر، (د.ت).

– غزوات خلّد القرآن الكريم ذكرها، محمد عبد السلام أبو النيل، ط١، الكويت، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

– غزوة بدر من الناحيتين العسكرية والسياسية، جمال حمّاد، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر، (د.ت).

– غزوة بدر الكبرى (الفرقان)، القيادة العامة للقوات المسلحة في دولة الإمارات العربية المتحدة، مديرية التوجيه المعنوي، شعبة الشؤون الدينية، أبو ظبي، المطبعة العسكرية، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

– غزوة بدر الكبرى، محمد عبد القادر أبو فارس، ط١، عمّان، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

– فتح الباري، ابن حجر، دار الفكر.

– الفتح الربّاني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، أحمد بن عبد الرحمن البنا (الشهير بالساعاتي)، ط١، القاهرة، (د.ن)، ١٣٧٠هـ– ١٩٥٠م.

– الفصول في سيرة الرسول، ابن كثير، تحقيق سيد بن عباس الجليمي، ط٣، عمّان، دار أسامة للنشر، ١٤١٨هـ–١٩٩٨م.

– فن إدارة المعركة في الحروب الإسلامية، محمد فرج، القاهرة، من إصدارات مجمع البحوث الإسلامية، سلسلة البحوث الإسلامية، الكتاب الخامس والأربعون، ١٣٩١هـ–١٩٧٢م.

– في رحاب الجهاد المقدس: غزوة بدر الكبرى، إبراهيم العيّاشي، من منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي، ١٤٠١هـ–١٩٨١م.

– في ظلال القرآن، سيد قطب، ط٨، بيروت، دار الشروق، ١٣٩٩هـ–١٩٧٩م.

– قيادة الرسول ﷺ السياسية والعسكرية، أحمد راتب عرموش، ط١، بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ–١٩٨٩م.

– لسان العرب، ابن منظور، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ–٢٠٠٣م.

– مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، ط٣، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٢هـ–١٩٨٢م.

– محمد رسول الله، محمد الصادق عرجون، ط٢، (د.م)، دار القلم، ١٤١٥هـ–١٩٩٥م.

– محمد رسول الله والذين معه: غزوة بدر، عبد الحميد جودة السحّار، (د.م)، دار مصر للطباعة. (د.ت).

– مختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني، ط٤، بيروت، دار القرآن الكريم، ١٤٠١هـ–١٩٨٠م.

– مختصر تفسير القرطبي، اختصره وخرّج أحاديثه الشيخ عرفان حسّونة، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ–٢٠٠١م.

– مختصر صحيح مسلم، المنذري، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط٣، دمشق، نشر المكتب الإسلامي، ١٣٩٧هـ–١٩٧٧م.

– مرويات غزوة بدر، أحمد باوزير، ط١، (د.م)، مكتبة طيبة، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.

– المستدرك على الصحيحين، الحاكم، بيروت، دار الكتاب العربي، (د.ت).

– المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، عبد الكريم زيدان، ط١، (د.م)، مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ–١٩٩٧م.

– مسند الإمام أحمد بن حنبل، بيروت، المكتب الإسلامي، دار صادر، ١٣١٣هـ–١٨٩٥م.

– معجم البلدان، ياقوت الحموي، مصر، مطبعة دار السعادة، ١٣٢٣هـ–١٩٠٥م.

– المغازي للواقدي، تحقيق ماردسن جونس، ط٣، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٤هـ–١٩٨٤م.

– مقدمة ابن خلدون، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، (د.ت).

– مقومات النصر، أحمد أبو الشباب، لبنان، المكتبة العصرية، ١٤٢٠هـ–١٩٩٩م.

– من معارك الإسلام الفاصلة: غزوة بدر الكبرى، محمد أحمد باشميل، ط٦، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٤هـ–١٩٧٤م.

– من معين السيرة، صالح أحمد الشامي، ط٢، (د.م)، المكتب الإسلامي، ١٤١٣هـ–١٩٩٢م.

– نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، إعداد مجموعة من المختصين بإشراف صالح بن حميد، ط١، (د.م)، دار الوسيلة، ١٤١٨هـ–١٩٩٧م.